الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة قاصدي مرباح ورقلة
كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

الجودة في النقد الأدبي القديم

طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمعي نموذجا

مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر

تخصص: النقد الأدبي و مصطلحاته

تحت إشراف الأستاذ:
* أ. بن طريحة عمر

من إعداد الطالبة:
✓ حلاسية رانية

اللجنة المناقشة:

أ/د. علي محداوي
أ/د. سي السيد أحمد التجاني

رئيسا
مناقشا

جامعة ورقلة
جامعة ورقلة

السنة الجامعية 2014/2013
بسم الله الرحمن الرحيم
إلى التي دي من دحما بوروحي من روحها، إلى التي تربت بين أحضاني و سقتي من أنهار جناتها، إلى أزهري ذكري وأحلل لن إلى السماحة و هيباني و هنا علي و هن، وأرضا من طبياتها حولين كاملين بلى من تكون الدنيا تحت قدميها، أم الحبيبة الغالية حفظها الله إلى من زرع بذور الإراده، في نفسنا و غرس ضمان الشأเล الام في و جداني. إلى من كان رمز الكفاح، النجاح، ومن كان قدوين و منار دربي و براس حياتي إلى والدي العزيز. إلى من صحبتي في رحلتي مع هذه الرسالة، تمسح الفراق، و تجدد الأمل بدعاتها إذ ما فف، لسانها يردد آيات الحفظ و الدعاء لإكثار هذه الرسالة جدتي العزيزة. إلى من استطاعوا أن يدخلوا قلبي بكل سهولة، وأن يترعوا عليه دون استثناء و تالوا مكانة الأخوة، لوقفهم إلى جانبي أصدقائي كل اسمه ولسنا الحب والتقدير إلى كل من له الفضل عليا.
شكر وعرفان

الحمد والشكر لله الذي بعمته تتم الصالحات، وتوفيقه تحقق الغايات.
نحمده عزوجل أن هدانا وسدد خطانا لأتمم هذا العمل التواضع.
يضيب لي في هذا المقام أن أتقدم بأعظم الشكر واسمى معاي
عرفان إلى من كانولي نعم المعلم الموجه والمحفز.
شكر خاص إلى الأستاذ الدكتور (عمر بن طرية) المشرف على
هذه المذكرة لما قدمه من دعم وتويجه ونصح لأخراج هذا العلم إلى
النور.
كما أعترف بالجميل للذين لايمكن إلا الإنحناء أمامهم للأساتدة الكرام
الذين كانوا طيلة العام النور الذي نصبره الطريق نحو المستقبل.
وشكر كبير لكل من قدم يد العون لي سواء من قريب أو من بعيد من أجل
إنجاز هذا العمل أقدم لهم خالص شكري وعرفائي
بالصنع الجميل فتقبلوا مني مشكورين جزيل الشكر.

II
الفهرس
الفهرس

الإهداء .................................................................................. 1

الشكر ...................................................................................... 2

القسم الأول: الجانب النظري

القصة .............................................................................. 40

المقدمة للفصل ................................................................. 2

المبحث الأول: ماهية النقد والجودة ........................................ 2

المطلب الأول: تقدير النقد ................................................... 3

المطلب الثاني: النقد الأدبي قديما ................................. 5

المطلب الثالث: تقدير الجودة ................................................. 9

المبحث الثاني: معايير الجودة .............................................. 11

المطلب الأول: معيار الجودة عند الأصم ................................ 12

المطلب الثاني: معيار الجودة عند ابن قبيبة ..................... 23

المطلب الثالث: معيار الجودة عند جعفر ................................ 29

المطلب الرابع: معيار الجودة عند ابن سلام الجمحي ...... 39

خلاصة الفصل ..................................................................... 40

الفصل الثاني: الجانب التطبيقي

القصة ............................................................................. 77

المقدمة للفصل ................................................................. 42

المبحث الأول: غشة موجزة عن الكاتب وكتابه .................... 42

المطلب الأول: غشة موجزة عن حياة محمد ابن سلام الجمحي 42
المطلب الثاني: ابن سلام ومكاتبه.................................................. 43
المطلب الثالث: كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام.......................... 44
المطلب الرابع: المعايير النقدية في كتاب طبقات فحول الشعراء (أسس المفاضلة). 65
المبحث الثاني: جودة و تحليلها في كتاب طبقات فحول الشعراء........ 67
المطلب الأول: مظاهر الجودة عند الشعراء الجاهليين.......................... 67
المطلب الثاني: مظاهر الجودة عند الشعراء الإسلاميين......................... 75
خلاصة الفصل................................................................................. 77
الخاتمة.................................................. 78
قائمة المصادر والمراجع.......................................................... 80
المقدمة
لقد ظهرت هذه الفترة واضحة جليًّا حين ظهر الشعر والدراة في قرضاً الشعراء، وليست الموازنة إلاً ضرباً من ضروب النقد، يميز بها الجيد من الردي وتظهر بها وجه القوة وضعف في مختلف الأساليب، فهي تتطلب إلاماً بالآدم؛ بنصراً بمناهج العرب في التعبير، وقد تأكد لدى أن الشعري العربي القديم جدير بأن نقام ببعض مقوماته دراسة خاصة. وأنه لقي من استحسان القدماء من النقاد الأوائل ما يجعله حقيقة بالعناية، ولعل أبرز مثال سوق عكاظ، لأنه كان في نظرهم أقدر الشعراء على وزن الكلام، كما تناقل الناس أحكام ساهرة في تفضيل الشعراء بعضهم على بعض وتقديمهم إياهم.

ومن هنا لم يكن تفضيل الشعراء مبنياً على مقاييس محددة واضحة، وإنما هي أحكام مطلقة تدور حول إجادة الشاعر في التعبير عن معنى من المعاني في قوة واحكام. وباقي الأمر كذلك حتى تأليف ابن سلام الجمحي (193هـ-231هـ) كتابه «طبقات فحول الشعراء» الذي يعد أول مؤلف نفدي بخضع لمعايير منهجية، ولعل أبرز تلك المعايير معيار الجودة الذي شكل فلسفة جمالية جعلت الشعراء يتسابقون إلى تطبيقه على شعرهم لنيل أعلى الدرجات. كما كانت الشغل الشاغل لدى العامة والمتدققين للادب بالبحث عن أجد بيت، وأجد أسدية، وأجد بيت، كما شغلت النقاد، إذ راح يصنفون ويجمرون من شعر ما الذي لا يستوعبه عقل قصد دراسته والوقوف على خصائصه الشعرية، ومقدم جودة الأدبية تؤهله بأن يحتل أعلى المراتب ويستم بالقراءة.

ولعمع هذا العمل والقدر الكبير من الفائدة المحصلة من البحث فيه، تكونت عندي رغبة في دراسة هذه الظاهرة والتطرق لمثل هذه القضايا، نظراً لما تحويه من سعة في الزاد المعرفي وما تطلب من تركيز، أضيف إلى ذلك ما يتميز به هذه الدراسة من سعة في
الفهم والحكمة، وقدر كبير من رحاب الصدر و موضوعية في البحث. فهذه الأمور وغيرها دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع لاعالجه في موضوع سمته بـ: مفهوم الجودة في النقد الأدبي القديم- طبقات حول الشعراء لابن سلام- نموذجا.
والدراسة تندرج حول مفهوم الجودة في النقد الأدبي القديم و البدايات الأولى للمصطلح ومراحل تطوره في ذلك العصر، إلا أن أصبحت معياراً بارزاً يحكم إليه الشعراء.
أما الإشكالية المعالجة في هذا البحث فتقوم على سؤالين: ما مفهوم الجودة في النقد الأدبي وما الدلالات المختلفة لفكرة الجودة؟ وترصد معانيها، وكيف نظر النقاد القدامى للجودة؟
كل هذه القضايا تصب في صلب الموضوع إنا ما سافرنا معالجته بآذان الله في هذا البحث قد وقف على جوانبها. وضبط قضاياها و تدليل قضاياها لتكون إن شاء الله زيادة خير في المكتبة، و يتحقق بها النفع لكل طالب أراد البحث، و الله من وراءقصد.
أما فيما يخص المنهج المعتمد في هذه الدراسة فهو المنهج التاريخي، وذلك من خلال التعرض لفكرة الجودة منذ ولادتها وصولاً بها إلى مدلولها النقدي عند ابن سلام، و آليته الوصف والمنهج التحليلي اللذين يظهران في الدراسة التطبيقية، وهذا من خلال التطرق لمختلف الجوانب الفنية في كل قصيدة من قصائد كل شاعر من شعراء الطبيعة.
وجاءت هذه الدراسة في خطة اقتصست أن تكون في شكل مقدمة، ودخل و فصولين.
تناولا صلب الموضوع و خاتمة عرضنا فيها أهم النتائج المستخلصة من هذا البحث وتفصيلها يكون كالتالي:
المقدمة: وتناولنا فيها حديثاً عاماً حول الشعر وجودته، وكيف كانت المواجهة و المفاضلة بين الشعراء.
المقدمة

المدخل: تناولنا فيه مصطلح النقد قديما، بداياته وما الأسس و المعايير التي كان يقوم عليها النقاد للحكم على الشعراء.

أما الفصل الأول: فخصصنا لمفهوم النقد لغة/اصطلاحا، وكيف كان النقد قديما، كما عالجنا فيه مفهوم الجودة لغة/اصطلاحا، بالإضافة إلى معيار الجودة عند بعض النقاد القدامى {الأصمسي- ابن قتيبة-قدامة بن جعفر- ابن سلام}.

أما الفصل الثاني: فكان عبارة عن الجانب التطبيقي، حيث تناولنا فيه: تعريف ابن سلام مولدته، نشأته، مكانته {بالإضافة إلى تعريف الكتاب وأهم القضايا التي تتناولها وصولا إلى الجودة وتجلياتها في كتاب طبقات فحول الشعراء {مظهر الجودة عند شعراء الجاهليين، والإسلاميين}.

وخاتمة البحث: التي عرضنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها.

وقد اعتمدت في هذا البحث على جملة من المصادر والمراجع كنالت الزاد المعرفي وعلي أبرزها كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي، و الشعر والشعراء لابن قتيبة وندق الشعر لقدامة بن جعفر، والتفكير النقدي لعيسي علي العاكوب.

أما عوائق:

التي واجهتني في هذا البحث تمثلت في حالة الصحيفة التي كانت سبب في الانقطاع عن التنقيب و التنفيق في البحث بين الفينة و الأخرى، وأخيرا أتقدم بالشكر الوافر إلى الأستاذ المشرف: عمر بن طريدة على ما قام به من رعاية لهذا البحث من تصحيح للأخطاء، وإعطاءه يد العون و المساعدة من متابعة وتقديم فله منا جزيل الشكر و العفان.
كما أشكر كل من ساعدني في هذا البحث أي أو تقويم أو توجيه أو دلالة على كتاب أو إعارة.... أو غير ذلك. وأتوجه بالشكر الجزيل إلى أساسنتي ممن لهم علي الفضل و على رأسهم رئيس قسم اللغة وحالادب العربي: الدكتور عيسائي عبد المجيد. ونسأل الله التوفيق و السداد في هذا العمل كما نرجوا منه أن يكون على قدر من الصحة و الصواب، وكفاية من الدقة و الفلاح في إتمام بجوانب هذا البحث. فما وفقنا إليه من صواب الرأي و سلامة في التحليل ورجحان من توفيق الله، وأمام ما خالف ذلك فتقصير من النفس و تخاذل في العمل وهو من مداخل الشيطان، وحسبنا أن لا تطرق أعناقنا فحسبنا أننا حاولنا جادين وما التوفيق إلا من عند الله.

حلاسة رانية

ورقته في: 24/05/2014
الفصل الأول
الجانب النظري

المبحث الأول: ماهية النقد و الجودة

مط 1: تعريف النقد
مط 2: النقد الأدبي قديما
مط 3: تعريف الجودة

المبحث الثاني: معايير الجودة

مط 1: معيار الجودة عند الأصمعي
مط 2: معيار الجودة عند أبي قتيبة
مط 3: معيار الجودة عند قدمه بن جعفر
مط 4: معيار الجودة عند ابن سلام الجمعي

خلاصة الفصل
مدخل:

إن النظر في النقد الأدبي على أنه في الكثير من جوانبه عملية عقلية تتناول الآثار الأدبية المختلفة بالدرس والتحليل وإصدار الأحكام النقدية الملائمة على تلك الآثار وتقديمها وبيان ملاحظاتها ومساواتها يعني على أن هذا النقد بذاته الاستعانة بالأدوات المناسبة التي يمكنه من تحقيق هذه الأهداف، واللجوء إلى وسائل علمية مختلفة تؤمن له الانتهاء إلى أحكام نقدية موضوعية تقنع الملقي والمبدع فيآن واحد، وهذا يقتضي من هذا النقد أن يفرض عليه أن ينتقد بأساس قوية لتحقيق غاياته، ويعتمد على لغة علمية سلمت في خطابه، قوامها الدقة والتحديد، والوضوعية، والحيادية، وجعل تحقيق هذه المطالب لا يتم ولا يمكن إنجازها إلا من خلال الاستعانة بالمصطلح النقدي الذي لا ينبغي أن يكون موجوداً فحسب، بل عليه كذلك أن يكون متطوراً لمواكبة التغييرات التي تطرأ على الأدب ذاته بğunوه المختلفة، وأساليبه القولية المتعددة، والذي لا يماري فيه أحد هو أن الأدب سابق للنقد فالنقد عملية تالية للأدب، تأتي بعدة ولا تسبق، وجعل الاختلاف في الأصول والأسس والأدوات ... و الطبيعة، وغير ذلك بين الأدب والنقد، هو ما جعل النقد العربي القديم مختلفاً عن الأدب في نشأته الأولى، إذ مر وقت ليس بقصير حتى بدأ هذا النقد يدبّ بخطواته، ويشيّ محاولات دراسة هذا العلم الذي كان قد وصل إلى مرحلة كبيرة من النضج والازدهار والتطور.

واستطاع النقاد الأوائل على الرغم من حداثة التجربة النقدية لديهم أن يستنبطوا بعض المصطلحات النقدية التي اعتمدوا عليها في دراساتهم للشعر، والحكم على الشعراء و إنزالهم في المراتب التي يستحقونها من حيث جودة أشعارهم وردءاتها ورائه من بين أشهر المصطلحات مصطلح الجودة الذي سوف نحاول من خلاله الوقوف على دلالته اللغوية والاصطلاحية، وبيان بعض سماته، وخصائصه، وأهم المعايير التي يلتزم بها وما مدى الاهتمام به لدى النقاد والعلماء.
ماهية النقد و الجودة

تعريف النقد

أولاً: تعريف النقد لغة

وردت لفظة النقد في معاجم اللغة العربية بمعاني شتى وأهمها ما جاء في لسان العرب: "و النقد والنقدة: تمييز الدراهم، و معرفة جيدها من رديئها. قال الشاعر: نفى الدنانير تنقاد الصياريف و نقدت الدراهم و انتقدها إذا أخرجت منها الزيف، و ناقدت فلان إذا ناقشته".

وقيل نقد الدراهم نقدا و تنقادة: "أعطاه إيها، و نقد الدراجم الدنانير مير جيدة من رديئها، و نقد الرجل الشي سبحة ينقدقه نقدا و نقده إليه: اختلس النظر نحوه.

و يقال: "تقد الشيء ينقدقه نقدا إذا انقره بإصبعه .....و النقد أن يضرب الطائر بمنقاده أي بمنقاره .....و قد نقده إذا نقره".1

كما جاء في المحيط: "النقد خلاف النسيمة، و تمييز الدراهم و غيرها، كثيقة و باقية و الانتقاء و التنقادة، و إعطاء النقد والنقر بالأصبع في الجو، و أن يضرب الطائر بمنقذة أي بمنقاره في الفخ".2

قد ورد في مختصر الصحاح: "تقد الدراجم و نقد له الدراجم أي أعطاه إيها .....و نقد الدراجم و انتقدها أخرج الزيف منها".

كما جاء في حديث الدرداء أن معتنا العيب لقوله: "إن نقدت الناس نقودك و إن تركتهم تركوك، أي أن عبتهم عابوك".3

ثانيا: النقد اصطلاحا
إن مفهوم النقد من المفاهيم الواسعة المعنى التي لا يمكن تحديدها، لذلك كان من الطبيعي جدا أن نجد أكثر من تعريف للنقد عند مختلف المفكرين في مختلف العصور والأمنكمة، لذلك هو مفاهيم في هذه الحالة تكافؤ لا تمثل أكثر من وجهات النظر المختلفة في فهم النقد، وطبيعي أن يختلف الناس في فهم الأشياء، ولا سيما إذا كانت من طبيعة مرنة كما هو الشأن في النقد والأدب وغيرها من المفاهيم المطلقة. ونود الآن أن نلمس ما يمكن إبرازه وتمييزه من التعريفات التي أُطلقت على النقد والتي يمكننا الإقادة منها في إثراء هذه الدراسة.

فرغم اختلاف معاني النقد من (تمييز بين الجيد والردي، ومناقشة، والإحصاء وانطلاق النظر، والغيب) إلا أن المعنى الأقرب، والأدق لمفهوم النقد هو التمييز بين الجيد والردي من الدرامات وعرفة زائفها من صحيحة، وكما يكون التمييز بين الجيد والردي في الأمور الحسية يكون أيضا في الأمور المعنوية ومنها النصوص الأدبية.

أما النقد اصطلاحا فهو: "هو في تحليل الآثار الأدبية، والتعارف إلى العناصر المكونة لها للانتهاء إلى إصدار حكم يتعلق بمجلته من الإجادة"، وقيل: "نقد الأدب: تناوله ودراسة، ونظر فيه... و استخلاص عناصر الجمال التي سما بها، وسمات القيم التي أتَّضِع بها".  

و النقد الأدب: إبراز ما فيه من عويب وما فيه من محسن. و نقد الأدب: إشارة بإجادة المجيد المقصود المساء فنقد فهو العدل بالمشاهدة والفحص للاهواء والمهول.

قد عُرف النقد في أدق معانيه بأنه: فن دراسة النصوص الأدبية لمعرفة اتجاهها الأدبي وتحديد مكانتها في سيرة الآداب، والتعارف على مواطن الحسن، والقبول مع التفسير والتحليل، و قد جعله قامته بنجعف مكره بالشعر في عنوان كتابه (نقد الشعر).

1. المعجم الأدبي، جبر عبد الله (د.د). دار العلم للماضي، بيروت، لبنان، ط.2، 1984 ص.283، مادة (نقد).
2. المعجم النافع في الأدب، محمد أحمد (د.د)، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط.2، سنة1419هـ، 1999 ج1ص.836، مادة (نقد).
3. في النقد الأدبي، التقدم عبد الروؤف، مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، مكة للطباعة، سنة 1419 هـ، 1998 م ص.43.
و ذكره في مقدمته قال: "و لم أجد أحداً وضع في نقد الشعر و تحليل جيد من رذينة كتاب".

ومن النقداء العرب المعاصرين من يرى في النقد الأدبي مجالًا معرفيا يجمع بين العلمية و الفنية، فهو: "أن تقويم الأعمال الأدبية و الفنية، وتحليلها، تحليلًا قائمًا على الأساس العلمي، وهو الفحص العلمي للنصوص الأدبية من حيث مصادرها و صحة نصها و إنشائها و صفاتها تاريخها".

على أساس علمي و هو الفحص العلمي للنصوص من حيث مصادرها و صحة نصها و إنشائها و صفاتها و تاريخها و هناك من يرى أن النقد هو الذي "يقف عند حدود دراسة الأعمال الأدبية بقصد الكشف عما فيها من مواطن القوة و الضعف و الحسن و القيمة و إصدار الأحكام عليها". و من خلال هذه التعريفات نستخلص بأن النقد الأدبي هو دراسة الأشياء و تفسيرها و تحليلها و موازنتها搶 و المشابهة لها أو المقابلة، غلى الحكم عليها ببيان قيمتها و درجتها، و هو محاولة منضبطة يشترك فيها دوق الناقد و فكرة الكشف عن مواطن الجودة و الرداءة في الأعمال الأدبية.

---

2. النقد الحديث من المحاكاة إلى التفكير خليل إبراهيم محمود، ط: عم선، دار المسرة للنشر والتوزيع و الطباعة، 2003، ص: 11.
الشكل رقم 01: مخطط توضيحي لمعاني النقد:

- العيب
- اختلاس النظر
- الإعطاء
- التمييز بين الجيد والردي
- تميز بين النقد
النقد الأدبي قديماً

ال النقد الأدبي قديماً

حين نضج الشعر و اكتملت صورته الفنية، فتن به العرب فتراووه تذوقوه، و تغنو به، و نظروا فيه تلك النضرة التي تلتزم مع حياتهم و طبيعتهم، و بعدهم عن أساليب الحضارة، فأعمالهم استحسانهم لما استجاذوا، و استهجانهم لما استثناوا في عبادات موجز وأحكام سريعة، إن كانت صحية عادلة فكما تمليها الفطرة السليمة، لا كما يمليها التعمق في البحث و الدراسة و المنطق الذي يعتمد علي التحليل و التعبير، ومن هذا وجد النقد الأدبي في الجاهلية حيث نشأ و تزعمه في أحذان علم البلاغة و تحديدا علم البيان وكان في المرحلة الأولى فطرياً ذا أحكام عامة تطلقها الشعراء و الكاتب و الأدباء بعضهم على بعض سريعة لا تحليل فيها و تحليل تروي في الأسواق الأدبية التي كان الحكم فيها معتمداً على الذوق الخاص، و النظرة الحدائق يقول حسن الجدوانة:

"إن النقد الجاهلي نقد موجز، مركز ينتم بالارتجال و الذاتية التي لا تبعد أحيانا عن الموضوعية ..... و لا ينفي هذا أن يتصور الناقد القصيدة ككل و يحكم عليها حكم عام و لم يكن النقد مستقلاً و إنما كان يدور في محيط الشعر، في صور أفكار و ملاحظات، و هي ملاحظات تنزل علي وعي نقيدي حمل سمات التجربة الإبداعية الشعرية بما تحمل من سمات الحياة البدوية من سهولة و وضوح و بعد عن التعقيد و قرب الخيال. 1

و لعل أهم ما يتميز به النقد في هذا العصر الاتجاه إلى الصياغة والمعنوي من حيث الصحة و الانسجام، و الحكم علي الشاعر بالجودة و الأوان عليه و غير ذلك، وهو حكم يعتمد علي الذوق و السليقة لا أثر فيه للفكر وما يتبعة من تحليل و استنباط. يقول شوقي ضيف "... على أن لا نبالغ في تصور نقدهم فقد كان كما تشهد نصوصه نقد ذوق فطري 2. "اذ لم تكن هناك قواعد مدونة يرجع إليها النقاد في الشرح و التحليل.

ومن أبرز مظاهر النقد الجاهلي ما كان يجري في سوق عكاظ المشهورة، التي كانت سوقاً تجارية، و موعداً للخطباء، و كانت في آن واحد بيئة للنقد الأدبي ينبث فيها جهاد الشعر و يعرضوا ما جاءت به قراةهم من أشعار، و الباءث علي ذلك هو الاستمتعاب

---

1. في النقد الأدبي القديم عند العرب، بحسن الجدوانة، دار اليازوري، الأردن، ط1، 2013، ص:49
2. نفسه، ص:50.
فقال النابغة: "إنا لشعر لولا أنك قلت عند جفائه وفختر بمن ودلت و لم تفخر بمن ولدك ...." 1 و يقال بأن النساء صاحبة القصائد الجياذ و التي يتوقف شعرها رقة وسلاسة وحضرت إلى مجلس النابغة حائلة اللون كاسفة البال، وترشي أخاه صخرا الذي أضرمه الأرض، وطوه الغراب فأشدته قصيدا: 

قدى بغيك أم باليور عوراء حتي وصلت إلي قولها:

وإن صخرا لتائم أهئدا به .................. كأنه علم في رأس نار وان صخرا لكفينا وسيدنا .................. إن صخرا إذا انشتو لنحار

فقال النابغة بعد ما استمع لقصيدتها التي تستدر العيون وذيب شغف الأفئدة لولا أن أبا بصير انشدني قبلك لقلت إنك أشعر الجن و الإنس. 2 وهذا يدل على طبيعة النقد في العصر الجاهلي، فهي أحكام مطلقه شاملة (الجن و الإنس )، ويدل على أن أحكامهم كانت ذوقيه وفطرية. فعندما أنشده الأعشى عدة اشعار الشعراء، وعندما أشدته النساء عدها أشعر الجن و الإنس غير إن الأعشى سبقها بالإسناد وهذا يدل علي جانب كبير من

---
2. في النقد الأدبي اللitical عند العرب، د. حسن الجداولة. دار الفكر، اللازيروي، الأردن-1433هـ، ص 39.
الفصل الأول

النقد الذي تعتبر من خصائص النقد في العصر الجاهلي والمقصود بها البدء عن الموضوعية وتأثير الناقد عوامل خارجية عن النص الأدبي وجعل أبرز دليل حكومة النابغة على الخنساء.

ومن هنا يتمثل دور النقد الأدبي وغايته قديما في أربعة أمور وهي:

1) دراسة النص الأدبي بجوامعه الثلاث (الشكل - المضمون - صاحبه)
2) مساعدة القراء على فهم النص وتدوئه.
3) توجيه الأدب وتثويره.
4) الحكم على النصوص الأدبية وبيان جيدها من ردها (الجودة)

تعريف الجودة

1- الدلالة اللغوية لمصطلح الجودة:

"جاء في لسان العرب ": "الجيد: نقيض الردي: على فيع، وأصله جيود فقلت الواو ياء لا انكسارها و مجاورتها الياء، ثم أدغمر الياء الزائدة فيها و الجمع جياد، و جيادات جمع الجمع، أنشده ابن الأعرابي:


١- لسان العرب، ابن منظور، جزء 1، ص: 720، مادة (الجود).
٢- القاموس المحيط، محمد الدين محمد الدين بن يعقوب الزيادي، ص:308-309، مادة (الجود).
كما جاء في مختار الصلاح بمعنى : "ج و د شئ جيد و الجمع " (جياد) و (الجياد) بالهمزة على غير قياس. و أجاز بمالك يجود (جودا) فهو جواد. و قوم جواد بوزن هود (أجواد) بالفتح و (أجواود) بوزن مساجد. و جواداء يوزن فقهاء و كذا امرأة جواد و نسوة جود أيضا. و جاد الشيء يجود جودة بفتح الجيم و ضمها أي صار جيدا و أجاد
الشي فجود و جوده أيضا تجودا. و شاعر مجواد بالكسر أي يجيد كثيرا و أجاد النقد
إطعال. جيادا و استجاده عده جيدا و الجيد العنق و الجمع اجياي."

ويقول صاحب (تاج العروس) : "الجديد كييس ضد الردي على فيع و أصله جيد قلبت
الواو ياء لانكسرها و مجاورتها الباء تم أدعتم اليا الزائدة فيها. ج جياد و جيادات
جمع الجمع. و جاء الشيء يجود جودة بالضم و جودة بالفتح: صار جيدا و أجاد غيره
فأجاد: آتي بالجيد من القول والفعل و يقال أجاد فلان في عمله و أجاد و جاد عله
يجود جودة و جدت له بالمال جودا فهو مجواد بالكسر و مجيد أي يجيد كثيرا و
استجادة: و جده جيدا أو طبه جيدا و تخيره كتجودا. و في الأساس: أوجدت ثوبا
 أعطته لك جيدا."

"يقول صاحب العين: جوجد جاد الشيء يجود جوده فهو جيد و جاد الفرس يجود جوده
 فهو جودا. و جاد الجواد من الناس يجود جودا. و قوم أجود و جود في عدوه تجودا,
وعدا عدوء جوادا.

و هو يجوز بنفسه و معناه يسوق نفسه، من قولهم: "إن فلايأ ليجاد إلى فلان، و إله
ليجاد إلى حتفه أي يساق إليه.

ومن خلال هذه التعريفات المختلفة التي وردت في المعاملا نستنتج أن للفظة الجودة
مفاهيم عدة تتعلق استعمالا لتجتمع في مصب واحد آل و هو الجيد ضد الردي و لعل أبرز
و أهم هذه المفاهيم المختلفة:
الفصل الأول

- العطاء
- الطلب
- السخاء
- المطر الغزير
- العطشة

لا أن ما يهمنا من هذه المفاهيم المختلفة في هذا البحث هو الحسن والجيد ضد الردي الذي اتخذه العديد من النقاد و الشعراء معيارًا من المعايير لتصنيف الشعر والشعراء إلى درجات ومراتب وطبقات و يعتبر ابن سلام الجمحي من بين النقاد الذين ساروا وفق هذا المنظور و انتهجوه لتصنيف الشعراء إلى طبقات من خلال كتابه طبقات فحول الشعراء الذي يعد مادة هذا البحث.

2- الدلالة الاصطلاحية لمصطلح الجودة:

لم يخصص للجودة كتابًا معينًا لتعرفها إنما جاءت لدى النقاد عبارة عن أراءهم وتوجهاتهم حيث يرى قدامة بن جعفر أن مما يدخل في مقياس الجودة البيت الشعري و من أمثلة "الجید" في هذا الموضوع ما قاله عبد المالك ابن مروان لعبيدة الله بن قيس الرقيات، إذ عتب عليه مدمه إياه: انقلت في مصعب ابن الزوبير:

إذا مصعب شهاب من الله نجلت عن وجهه الظلماء وقلت في:

يأتلك الناج فوق مفرقه 1 على جبين كأنه الذهب "ومن هنا فإن الجودة هي أدوات النقاد في بيان جمال العمل الأدبي، وهي وسيلة لتصور تجربة النقاد و اتصالها إلى المتلقي التي تصورها الألفاظ في و أدق تصوير.

معيار الجودة عن بعض النقاد القدامى

---
بعد أن ينتج الشاعر قصيدة ينحقها تخرج ليتناولها الجمهور، و يطير بين يدي النقاد ليعحثوا عليها أنها بالحجة، أو الرداءة، ويكون هذا الحكم مبينا على ما تعارف عليه المبدع والمتلقى من شرائط و اعتبارات، و سنن يلزم المبدع يأخذها بين الاعتبار عند الإبداع و يتخذه المتلقى معيارا يحكم به على ما أنتجه الشاعر.

و الشعر خصائصه التي تميزه عن صفوح القول الأخرى، وله بعد ذلك شوارع و معايير تميز الجيد من المتوسط من الرديء، وهذه الشرائط تشمل النظم، و المعنى و التركيب كما تشمل الوزن و القافية، فرد على ذلك شكل للقصيدة و هندستها و التحاج أجزائها وضمن هذا نجد ما يتبقى على الشاعر اتباعه من نعوت، و ما يجد به اجتنابه من عيبه حتى يحصل في نهاية الطافع على شعر يوصف بالحجة و يبعث بالحسن.

و الشعر في حقيقته خليط من أمور كثيرة بالغة التداخل والتشابك و التعقيد، و الزلل في الشيء منها قد يردي بالنوع إلى مهارى الرداءة و الغثاءة، لذا ينبغي للشاعر أن يحرص على أن يخرج إبداعه في صورة مكتملة ما استطاع إلى ذلك سبيلنا و ذلك من خلال مجموعة من المعايير التي سنها و وضعها نفيف من النقاد، و لعل أبرز هذه المعايير معيار الجودة و الرداءة اللذان كان محل اهتمام النقد و الأدباء في النزاع الأولي و النقد، فما من شاعر، أو كاتب إلا و كان يسعى لجودة ما ينتجه، ما من ناقد و عالم لغة و أدب غلا و سعي الموقف على مؤخذ الحسن و الفضح في ذلك النتاج، و عليه يكون الشاعر ملزمًا بطريقة أو بأخرى أثناء لحظة الإنتاج، و تنفيذ الإبداع أن يضع في حسابه السنن المعترف عليها في إبداع الشعر، التي وضعها النقاد، و لعل أبرز النقاد الذين اهتموا بهذا المعيار، و جعلوه مقياسا تقاس به شاعرية الشعراء و درجاتهم.

أما سلامة بن جنيد: "لو كان زاد شيئا كان فحلا"

معيار الجودة عند الأصمعي:

لهذا المعيار الذي يتخذه الأصمعي مضمرا يقبس من خلاله فحولة الشعراء قيمة كبيرة، و قبل أن تطرق إلى هذا المعيار أود أن ألفت النظر إلى أن فحولة الشعراء لذا الأصمعي تعني فحولة الشعراء، فالفَحولة جمع فحل، وليس المقصود بها معيار نقديا لـ
معينًا، أو مقياسا فنيًا واضح الأسس، ومعالم تقاس به شاعريات الشعراء، ويعرف من خلاله مدى براعتهم في الفن الشعري، كما قد يتبادر إلى الأذهان، فالآصمعي يريد أن يعرفي بالشعراء الجاهليين الأكثر إبداعًا وتقوقًا، وتألقًا، فارتئى أن يصفهم بالفصول، ولا شك أنه كانت في ذهنه الأصمعي وعقلته النقدية معايير محسنة، استطاع من خلالها أن يضع بعض الشعراء في زمرفة الفصول، في حين أنه استبعد آخرين، ووجد أنها لم يصلوا إلى مرتبة أولئك في إبداعهم الشعري، وله أبرز هذه المعايير، وهي:

1- جودة الشعر.
2- الكم الشعري.
3- الزمن.
4- غلبة صفة الشعر على الشاعر.

إلا أن ما يهمنا من بين هذه المعايير معيار جودة الشعر لأنه مهم جدا في تقييم الشاعر وقياس فصوله، وبين تميزه ومقدار براعته في نظم الشعر واستحلاو من خلال هذه الدراسة تستطيع الضوء عليه.

1- معيار جودة الشعر: 

إن الشاعر المجيد له أفضل عديدة على باقي الشعراء، لأنه بمثابة المحور الأساس والمرجع الذي ينهل منه الشعراء: ليس الشاعر المجيد هو فتح الطريق لباقي الشعراء في الكثير من الموضوعات، وتطويع الأغراض الشعرية؟ و مثل هذه المكانة أولاها الأصمعي لأمرئ القيس، وذلك في قوله: "ما أرى في الدنيا لأحد مثل "

قول أمرئ القيس:

قاهم جدهم ببني أبيهم
لأشقين ما كان العقاب
قال أبو حاتم فلما رأى أكتب كلمه فكر ثم قال: "بل أولهم كلهم في الجودة أمرؤ
الأقصى، له الخطوة و السبق، وكلهم أخذوا من قوله، و اتبعوا مذهبه 
و لم يخف الأصمعي إعجابه الشديد بامرئ القيس لما يحويه من جودة حتى فضلته على
من سواء من الشعراء.

قال أبو حاتم و سأله رجل: أي الناس طر أشعر؟
قال النابغة: "قدما عليه أحد 
قال: "و لا أدركت العلماء بالشعر يفضلون أحد".

فما سبب هذا التفصيل الذي خص به النابغة من قبل علماء الشعر و على رأسهم
الأصمعي؟ لابد أنها جودة الشعر التي تتخذها قياس شاعرية، شاعر عن الآخر و من ثم
فحاولوه مما تميزه عنهم.

إذا نلاحظ عن الأصمعي و هو يتعرض للشعراء غير الفحول أنه ينظر إليهم بعين
 بصير خبير بالشعر، لبكي ذلك من التميز بدقة جودة الشعر، و رداه، و يحكم من
خلالها على فحولته، و عدم فحولة الشعراء، أي فالشعراء الجيد للشعر فحل تارة باجتماع
خصائص غير فحل ينقص بعض الخصائص تارة. و نجد الأصمعي يمثل الانعدام فحولة
لبيد بن ربيعة بـ: 

"قلت: فلبيد بن ربيعة":
قال ليس بفحل 

ثم قال لي مرة أخرى: كان رجلا صالحا، و كأنه ينفي عنه جودة الشعر.

فلبيد في رأي الأصمعي ليس من الشعراء الفحول، و السبب هو نفي عنه جودة الشعر كما
اعتقد أبو حاتم، وقد حدث الأصمعي ذات مرة قال: "سعت أبا عمرو في العلاء يقول:

---
3. المرجع السابق، ص 50.
ما أحد أحب إلا شعرًا من لبيد بن ربيعة، لذكر الله عزوج، ولإسلامه، ولذكر
الدين والخير، ولكن شعره رحى يزّر. فالمعيار الجودية الشعرية هنا أساس اعتمده
الأصمي كركيزتة أساسية في تقييم شعر لبيد و إنزاله منزلته التي يستحقها.

كما قال في شأن المهلله:

و لو كان قال مثل قوله:

أليتنا بذي جشم أنيري
إذا أنت انقضيت فلا تحوري

كان أفظلهم.²

فعلى الرغم أن المهلله ليس من الشعراء الفحول إلا أن بعض شعره يتميز بجودة
أخذه، و لو قال شعرًا بذلك المستوى كان أفظل الشعراء.

و هذا دأب الأصمي في تميز الشعراء الفحول، و غير الفحول، عبر معايير متمايزة
حسب ما وجد عند الشاعر من جودة، و حسن النظم، في موضوع آخر تراه يقرر أن كعب
بن سعد الغنوي " ليس من الفحول إلا في المرثية، فإنه ليس في الدنيا مثله"³، و مرثيته
هي البائدة التي رفعت فيها أخاه إذ يقول في مطلعها:

تقول أبيه العباسي قد شبت بعدنا و كل أمرئ بعد الشباب يشيب

و هذا دليل على إعجاب الأصمي الشديد بجودة هذه القصيدة. و بالتالي مكانة كعب بن
سعد الغنوي عنه مرموقة، فقد أولاه درجة الفحول كما أن هذا دليل آخر إن الفحولة عند
الأصمي، غير مقصورة على شعر الشاعر جميعًا بل يمكن لها أن تقتصر على قصيدة
واحدة فقط، و يكون الشاعر فحلا من خلالها.

حيث قال " ليس أحد يقوم بالشماخ في الزائنة، و الجمية إلا إن أبا ذويب أجاد في جيشه
حدا لا يقوم له أحد قال: هي التي قال فيها:

---
1. الموسوعة في مآخذ العلماء على الشعراء، أبي عبد الله بن عمران بن موسي المزري، نبئ: محمد حسين شمس الدين، دار كتاب العلمية، بيروت.
2. كتابة فحولة الشعراء الأصمعي، ص: 41.
3. نفس المرجع، ص: 48.
"كأن نقال المرن بين تضارع

أمه يرك من جذام لبح".  

و بالتالي معري جودة الشعر، من أحكم و أقدر المعايير التي تحدد مقدرة الشاعر الفنية

ودي حسن نسده و براعة نظمه، و تبين مدى مكانته بين الشعراء، و فحولته .

بالإضافة إلى معير الجودة نجد معيارا أخر لطالما رافق معيار الجودة، و حدا حذوه عند كثير من النقاد و هو معير الكم الشعري.

2-معيار الكم الشعري (معيار الكثرة) : و هو من المعايير، و المقاييس التي اعتمد عليها الأصمي في تصنيفه، و ترتيبه للشعراء الفحول، و غير الفحول، و نقصد به كثرة الشعر، و كثافته، فكلما كان الشاعر مقويا مكثرا كان له التصام الذي برتقي به إلى مصاف الفحول، إذاً لابد للشاعر أن يقول عدد من القصائد التي نوه له لأن يبلغ الدورة العليا، ولا تكتفي فيه في ذلك الأبيات القليلة، أو النطف السبيرة، ولا يوجد الأصمي عدد القصائد التي ينبغي أن يقولها الشاعر حتى يعد فحلا، و بالتالي لا يعتمد الأصمي بالأبيات، والمقطعات القصيرة، بل يتخذ من القصائد الجيدة نموذجا متعاقب يطالب من خلاله شاعر أن ينسخ على متواله.

و سنقوم في هذا المقام بإيراد الشعراء المقيقين حسب ورودهم في سؤالات أبي حاتم للأصمي، كما سنوسع في شأن بعضهم حسب ما أوردته المرزبان في الموشاح حتى تكون الصورة أكثر وضوحا، و السبب أكثر بيانا.

"يقول أبو حاتم السجستاني": 

"قلت فالحويمرة".

قال: "و لو قال مثل قصيدته خمس قصائد كان فحلا".

و أما قصيدته التي قدوها في العينية و مطلعها

"تذكرت سمية غدوة فتمتع و غدت غدو مفارق بم يرجع".  

---
1 نسخه : ص:68
فالحوديرة من الشعراء الجاهليين و البارزين و هو نظر الأصمعي مقل، و العينية التي
أتى بها ذات مرتبة عالية اتخذا الأصمعي مقياسا له في الفحولة فقط لو نسج على
متوالها خمسا آخر.

وقال في شأن المهلهل: "قلت مهلهل؟ قال: ليس بفصل، ولو كان قال مثل قوله: 
ألبلتنيذي جسم أنيوي إذا أنت انقضيت فلا تحوري
كان أقولهم، قال: "و أكثر شعره محمول عليه".

تري الأصمعي يحكم على المهلهل بعدم الفحولة لكونه من الشعراء المقلين و لم يذكر
النصاب الذي يرفع من شأنه في المصدر المعتمد عليه، و هو أشار إليه المرزبان في
الموشح و قدر النصاب بخمس قصائد إذ قال: "أخبرنا أبي دريد قال: أخبرنا أبو حاتم
، قال سألت الأصمعي عن المهلهل، قال ليس بفصل، وله قال مثل قوله: 
ألبلتنيذي جسم أنيوي إذا أنت انقضيت فلا تحوري
خمس قصائد لكان أقولهم، قال: "و أكثر شعره محمول عليه".

كما أن هناك قضية أخرى تحمل قيمة خليفة تتمحور حول الكذب أوردها المرزبان في
قوله:

"وزعمت العرب أنه كان يدعي في شعره، تتكرر في قوله أكثر من فعله "
مع الإشارة في قضية الانتقال ذلك الزيف، و التلفيف الذي أفسد تلك اللائحة التي لحقتنا
من جملة ما قالته العرب.

يروي أفعاله في بني عمومته البكريين الذين حربهم زهاء أربعين سنة، و كان
المهلهل يقول شاعرا بخلد، و يمجد بطولاته في تلك الأيام و الدارات. وقول المرزبان
هذا، كذب و تلفيف، و زياادات المهلهل في تلك الحوادث، و تكفي هذه الصفة الذميمة

معيارا يؤخر من خلاله الأصمعي فحوله، و بالتالي فنصاب المهلل خمس قصائده مع تحديد الأمودج

"وقال: لو قال ثعلبة بن صغير المازني مثل قصيدته خمسا كان فخلاً 1

و يعني بقصيدته الرائعة التي يقول في مطلعها:

"عند عمرة من بات المسافر

ذي حاجة متروح أو باكر" 2

و نصاب تعليه بن صغير المازني خمس قصائده مع تحديد الأمودج أيضا.

و قال: قلت: "فمعقر البارقي حليف بني نمير؟ قال: لو أتم خمسا أو ستا لكان فخلا" 3

و نصاب معاصر البارقي خمس أو ست قصائد دون تحديد للأمودج

ثم قال: قالت: فآوس بن غفاء الهجيمي؟

قال: "لو كان قال عشرين قصيدة كان حق بالفحول" 4. فالأصمعي يرى أوسا من الثراء المقللين إلى حد كبير، وإلا فلما بحدد نصابه عشرين قصيدة؟ دون غيره من أصحاب، و الست قصائد، دون تحديد للأمودج.

أما سلامة بن جندل: "لو كان زاد شيئا كان فخلا" 5

فالأصمعي هنا لم يحدد النصاب الذي يريده يرتقي سلامة إلى مضاف الشعراء الفحول و نظرة إلى نصاب القصائد الذي يعتمد الأصمعي في تحديد فحولة كل شاعر تجهد متوفقا عند الخمس قصائد كأدنى تقدير، و أما الحد الأعلى فهو غير محدد، أي عند الحيويرة و مهلل، و ثعلبة، بن صغير المازني النصاب هو خمس قصائد مع تحديد للأمودج و أوس بن غفاء الهجيمي فنصابه عشرون قصيدة دون تحديد للأمودج أيضا، و أما

---

1. فحولة الشعراء الأصمعي، ص: 42.
2. المقصدات والمفروض المضيء، أحمد محمد شاكر، عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط: 1979، ص: 128.
3. فحولة الشعراء الأصمعي، ص: 46.
4. المرجع السابق، ص: 50-51.
5. نفسه، ص: 53.
لا توجد نصًا يمكن قراءته بشكل طبيعي من الصورة المقدمة.
قال أبو حامد: "و كنت أسمعه يفضّل جرير على الفَرَّدُق كثيرا فقلت: له يوم دخل عليه عصام بن القبطي إن أريد أن أسألك عن شيء، ولو أن عصاما يعلمه من قبل لم أسألك ثم قلت: سمحت تفضل جرير على الفَرَّدُق غير مرة. فما تقول فيما، و في الأخطل فأطرق ساعة، ثم أنشد من قصيدته:"1

саهمة الخدين طاوية القرب

لعمري لقد اسريت لا ليل عاجز

فأتصد أبياتا زهاء العشرة، ثم قال:

"من قال لك أن في الدنيا أحد قال مثلها قبله ولا بعده فلا تصدقه."2

الملاحظ أن الأصمعي يحبّ الشعر الإسلامي، أو بصفة عامة شعر الشعراء غير الجاهلية، و بروبه، و نشده، و بطر جله، و ذلك راجع إلى ما فيه من الحلاوة، و الروعة و الجمال، من القوافي الرقيقة، و المعاني الحلوة السهلة. لكن الأصمعي شديد الصرامة في الفصل بين الشعراء، فهو يغني بالدرجة الأولى، و في تقسيمه للشعراء تداخل في حجيته للغة إضافة إلى إبراز مكانتهم هو بذلك يُميز في تمييزه بين الشاعر الفحل و غير الفحل الشاعر الحجة في اللغة، و الشاعر غير الحجة، فالشاعر الجاهلي حجة بالغة، و ما دون ذلك لا حجة له و إن فاقت جودة شعره، حتى لو كان أبو عمرو بن العلاء بفضل الأخطل يقول الأصمعي: "سمعت أبو عمروني العلاء يقول: لو أدرك الأخطل من الجاهلية يوما واحدا ما قد مت عليه جاهليا و إسلاما."3

ثم إن جميع الشعراء جاء من أجل تقويم اللسان العربي، و ها ما يتطلب منهجيا قويا و صارما. كما أن هذه الدقة المنهجية تتلزم صاحبها الموضوعية، و التجرد من جميع الأهواء والذائية. فالشاعر الجاهلي فحل، و صاحب حجة كبيرة لا يتقدمه شاعر آخر مهما كان متأخر، و فاقد للاحتجاج في اللغة لأن لسانه أصابه من اللبن ما أفسد اللغة

1. نسخة: ص43
2. نسخة: ص44
3. المراجع السابقة: ص44
فكل حسب منزلته، وكل بمقداره. قال الأصمعي: "أنشدت أبا عمرو بن العلاء شعراً:

فقال: ما يطبق هذا من الإسلاميين أحد و لا الأخطل".

فمهما بلغت مكانة الشاعر، وجودة شعره، ولكن إذا تعدي ذلك الفارق الزمني و خرج عن الجاهلية فلها حجة له، ولا تقديم، و في ختام الحديث عن المعايير التي أعتبرها الأصمعي في تصنيف الشعراء نبرز مخطط الفحولة الذي رتب وفقه الشعراء حسب المعايير.

---

1 نسخة: ص 44
الشكل الرقم 02: مخطط الفحولة الذي رتب وفقه الشعراء حسب المعايير

المعايير النقدية للفحولة

المعيار الكم الشعري

الزمن

جودة الكثرة والقلة

الفحولة

الفرسان

الكرام

الصالحون

العداؤون

الفصحاء
معيار الجودة عند ابن قتيبة (ت- 276 هـ)

شف الغرب بجمال التعبير، وأناقتته، وإصابة المعنى، وحسن المطالع، ومقاطعه

ودنت أجزاء النظام، وتفتقوا في تمييز الكلام الجيد من الرديء.

وقد كان كثير من النقاد يتخذون الجودة في الشعر مقياسا للمفاوضة بين الشعراء.

وقد был المقياس الجودة في المفاوضة بين الشعراء موضوعيا، لأنه يصل بالشعر أكثر منه من الشاعر. إلا أن هذا المقياس التقديمي يتوقف تحققه على مدى القدرة على التمييز بين جيد الشعر ورديئة، وهذا لا يتهيأ إلا لمبلغ منزلة واسعة في معرفة أساليب الكلام العربي.

ولا أن الحكم على شعر شاعر، وتفصيل شاعر على آخر من خلال شعره يخضع

عند ابن قتيبة إلى عدة عوامل لعل أبرزها وأهمها الجودة، فقال: "فكل من أتى بحسن

في قول أو فعل ذكرناه، وثاني هناك عليه ولم يضعه عندما تأخر قائله أو فاعله، ولا

جدته سنة. كما أن الردى إذا ورد علينا المتقدم أو الشريف لم يرفعه عندما شرف

صاحب ولا تقدمه."

فأبان قتيبة تجده يقف موقفا مخالفًا لموافق كثيرة لمعاصرة، من تخبئوا الأشعار

على أساس غير موضوعية كالتقدم في الزمان، وشرف القائل و غير ذلك إن يقول في

هذا "فإنه رأيت من علماً من يستجيب الشعر السخيف لتقدم قائله، وبضعه في

تخبره ويدل الشعر الرصين، ولا عيب له عنته إلا أنه قبل في زمانه، أو أنه رأى

قائه... ولم يقصر الله العلم و الشعر والبلاغة على زمن دون زمن، ولا خص به قوما

دون قوم، بل جعل ذلك مشتركا مقصوما بين عبادة في كل دهر، وجعل كل قديم حديثا في

عصره ... فقد كان جرير، و الفوزدق، و الأخطل، و أمثالهم، بدون محدودين، و كان

1- الشعر و الشعراء، ابن قتيبة ، تحقيق أحمد محمد شاكر، دار الآثار ، القاهرة، ط1، 2009، ج1، ص: 64
أبو عمرو بن العلاو يقول: "لقد كثر هذا الحدث و حسن حتى لقد هميت بروايته، ثم صار هؤلاء قدماء عندنا ببعد العهد منهم".1

فأين قتيبة تجده قد اتجه بالنقد العربي اتجاهًا موضوعياً من خلال تحديده لمجموعة من المعايير والأسس الجمالية للشعر، والتي إن توفرت في الشعر زادت من إعلان شأنه

و لعل أبرز هذه المعايير:

1 - جودة النظف والمعنى: تلعب هذه ثنائية دوراً هاماً في إبراز مقدرة، و جودة شاعر

على أخر مما تحمله من سمات تقسم الشعر، و الشعراء إلى طبقات إذا يقول: قال

أبو محمد: تدبرت الشعر فوجدته أربعة أضراب:

1. ضرب منه حسن لفظه و جاد معه، كقول القاتل في بعض بني أميه:

في كفه خيزيان ريحه عبـق
في نفسي حياة و يفضي من مهايته
فما يكلم إلا حبـن يبتسـم
لم يقل في الهدية شيء أحسن منه.

و كقول أس بن حجر:

أيتها النفس اجملي جزعا
إن الذي تحذرين قدوعنا

لم يبتذل أحد مرتبتة بأحسن من هذا 2

2 - وضرب منه حسن لفظه و حلا، فإذا أنت فتشته لم تجد هناك فائدة في المعنى

"كقول القاتل:

ومسح بالأركان من هو ماسح
هم مقاتا من منى كل حاجـة
و لا ينظر الغادي الذي هو رأـح

و شدت على حذب المهارئ رجالنا

1. المراجع السابق : ص 64
2. المراجع السابق : ص 66
أخذنا بأطراف الأحاديث بيننا -- و سالت بأعناق المطى الأباطح

هذه الألفاظ كما ترى أحسن شيء مخارج، ومطالع، ومطاقت، وإن نظرت إلى ما تحتها من المعنى وجدتها: " لما قطعنا أيام مني، وأستلمنا الأركان وأتينا إلينا الأضاء"، ومضى الناس لا ينظر الغادي الراحي، ابتدأنا في الحديث، وسارت المطى، و في الأبطح.

و هذا الصنف في الشعر كثير 1

3- "و ضرب منه جاد متعه، و قصرت ألفاظه عنه، كقول لبيد بن ربيعة:

ما عاتب المرء الكريم كنفسه، و المرء يصلحه الجليس الصالح.

هذا وإن كان جدي المعنى و السباق فإنه قليل الماء و الرووفق، و كقول الفرزدق:

و الشيب ينهض في الشباب كأنه ليل يصبح بجانبيه نهار. 2

4- "و ضرب منه تأخر معنا و تأخر لفظه، كقول الأعشى في امرأة:

و فوها كأقا حكي، غدا دائم الهطل.

كما شبيب برحوا با، رد من عسل النحل.

و كما أن قضية الجودة في اللفظ و المعنى تلتفت الدروس إلى إشارات أهمها:

1- "عندما يطبق المقام الذي يقال فيه تمام المطابقة: و هاهنا معيار جمالي يمكن تحديده في لغة البلاغة بمصطلح " مطابقة الكلام لمقتضى الحال " و يحدد في لغة النقد بكلمتين الإصابة و الجدة. 3

متي اتفقا الشاعران في أصل المعنى، و زاد أحدهما عن الآخر عرف للمتأخر فضلله في تلك الزيادة يقول ابن قتيبة: " وكان الناس يستجدين للأعشى قوله:

و كأس شربت على لذة، و أخرى تداوت منها بها.

المرجع السابق، ص: 66-67

2- نفسه، ص: 69-68

3- الفكر اللغوي عند العرب، د. عيسى علي العليوي، دار الفكر، دمشق، ط 5، 2006، ص 159.
حتى قال أبو نواس

"دع عنك لومي فان اللوم أغراء و داوني باتي كانت هي الداء"1

فتسلخه وزاد فيه معنى آخر، اجتمع له به الحسن في صدره و عجزه : فالأعشي فضل السبق إليه، ولأني نواس فضل الزيادة فيه"2

2- و يمضي ابن قتيبة في ذكر بعض الوجه التي تختار عليها الشعر حيث يقول :

"ليس الفتى يفتش لا يستضاء به و لا يكون له في الأرض آثار"3

و يقصد بالمعنى الغريب الطريق المبتدع الذي ابتدعه قائله و العرابة في المعنى لا يكون حسنة مستعد به إلا إذا كان المعنى جيد بدل فيه فيما يلي :

1- جودة المخرج و المطلع و المقفع : يقول ابن قتيبة : "و هذا أكثر و فيما ذكرت منه ما ذلك على ما أردت أحسن الروى، و أسهل الألفاظ، و أبدها من لتعقيد و الاستكراه و أقربها من أفهام العوام . كذلك اختار لخطيب إذا خطب و الكاتب إذا كتب فأنه يقال : أسير الشعر و الكلام الممتع ، براز الذي يطمغ في مثله من سممعه، و هو مكان النجم من يد المتناول "4

2- كثرة الماء و الرونق : إذ قال عن الألفاظ مما جاد معناه و قصرت عنه ألفاظه :

" إن قبيب الماء و الرونق " بمعنى أنه جاف و قليل الإشراف و النضارة الرواد فإن توفرت كثرة ففي الشعر صار جيد إذا طالوة و بريقة.

3- الفصاحة و قوة الإجادة عن المعاني : إذ قال عن ألفاظ المعين الثاني مما جاد معناه و قصرت ألفاظه عنه : "و ليست أرى ألفاظه جيادا، و لا مبينة لمعناه "5

1- الشعر و الشعراء، ابن قتيبة، ص: 73
2- المرجع نفسه، ص: 84
3- نفسه، ص: 99
4- نفسه، ص: 96
5- نفسه، ص: 69
4- السماحة والسهولة والتدفق: ومعنا أن نصدر ألفاظاً عن طبع لا تكلف فيه، لا
إكراراً يقول ابن قتيبة في هذا معلقاً عن أبيات الخليل بن أحمد: "و هذا الشعر بين
التلكيف رديء الصنعة. وكذلك أشعار العلماء ليس فيها شيء جاد عن الإسماح
والسهولة، شعر الأصمعي، و شعر ابن المقفع، شعر الخليل.

5- مجانبة الحشو والتكرار فقد عد ابن قتيبة مما تأخر معنا و لفظه قول الأعشى:
"و قد غدوت إلى الحانوت يتبغعني شأو مشل شلول شلول شول"،
وقال عنه: هذه الألفاظ الأربعة في معنى واحد، و كان قد يستغني بأحدهما عنها
جميعاً.

و من هنا نستخلص بأن هذه المعايير و المقاييس التي ارتكز عليها ابن قتيبة في اختياره
ل الشعر غير عامل الجودة في الألفاظ، و المعاني التي أصبحت تشكل جوهر العلمية
الإبداعية على المستوى الداخلي على خلاف معيار الزمن و الكثيرة التي تعني بالجانب
الخارجي - السياقي -

---

١ نسخه: ص ٧٠
٢ نسخه: ص ٧١-٧٢
الشكل الرقم 03: مخطط معيار الجودة عند ابن قتيبة

مخطط معيار الجودة عند ابن قتيبة

|
|---|
| جودة المعنى |

|
|---|
| جودة النظير |

|
|---|
| مجانية الحشو والتكرار |
| السماحة وسهولة التتفق |
| الفصاحة وقوة الإجادة من المعاني |
| كثرة الماد والرونق |
| جودة المخرج والمطالع والمقاطع |

|
|---|
| مطابقة الكلام لمقتضى الكلام |
| عندما يكون المعنى غريبا |
| عندما يكون لطيفا |

الالفصل الأول

الجانب النظري
معيار الجودة عند قدامة بن جعفر (ت 2337)

تعتبر مسألة الجودة من المسائل الكبيرة، والمهمة التي شغلت النقد القدامى وعلل أبرز هؤلاء النقاد نجد قدامة بن جعفر الذي أولاها عنواناً كبيراً وذلك من خلال كتابه نقد الشعر، عندما تحدث عن: صفات الشعر التي تبلغه غاية الجودة، فإن وجد بضد هذا الحال كان شтриًا في غاية الرداءة، وإلا فهو بين طرفي الجودة والرادئة بحسب مدى قربه من أي الطرفين أو توسطه بينهما.

يعترف قدامة الشعر بأنه «قول موزون مقفى دال على معنى»، وعلى ذلك فإن الشعر عنه يتالف من أربعة أشياء: اللفظ والوزن والقافية والمعنى، وكل واحد من هذه الأشياء الأربعة قد يكون جيداً وقد يكون رديئاً، يقول الدكتور عيسى علي العاكوب في هذا:

يقضي الكلام على الشعر من جهة جيدة ورديئة الكلام على أسبابه المفردة الأربعة: القول والوزن والقافية والمعنى، وعلى أسباب أربعة مؤلفة، مصدرها تلاطف واحد من الأسباب المفردة مع آخر. وقد استناد قدماء أن الأسباب الأربعة المؤلفة هي: تلاطف اللفظ مع المعنى، وإثنان اتفاف اللفظ والوزن، إثنان اتفاف المعنى مع الوزن، وإثنان اتفاف المعنى مع القافية، وقد اجتمع من ذلك كلّه ثمانية أسباب أو مكونات رئيسة للشعر».

وأوصاف الشعر التي حددها قدامة (غاية الجودة، غاية الرداءة، والأوسط بين الجودة والرادئة) تدل على أن غاية الجودة بمعنى عندما يكون كل من الأسباب الثمانية في غاية التجويد، غاية الرداءة حين يكون كل سبب من الأسباب الثمانية في غاية الضعف، وأشعار وسط بين الجودة والرادئة يقول قدامة «فما كان فيه من العيوب أكثر كان إلى الرداءة أقرب، وما تكافأت فيه النحو واليعوب كان وسطا بين المدح والذم»، ونجد قدامة قد استمده هذه الفكرة من افتراضه أن الشعر صناعة من الصناعات حيث يرى قدامة والشعر صناعة كسائر الصناعات ولذلك فلن طرفان: أحدهما غاية الجودة، والآخر

1. قدّم الشعر، قدامة بن جعفر، م. محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د.م.ت)، ص: 64
2. التفكير النقدي عند العرب - عيسى علي العاكوب، ص: 206.
3. قدّم الشعر، قدامة بن جعفر، ص: 65.
الفصل الأول

الجانب النظري

غاية الرداءة، وحدود بينهما تسمى الوسائط، وكل قصد لشيء من ذلك فإنّما يقصد الطرف الأجوود، فإن كان معه من القوة في الصناعة ما يبلغه في القرب من تلك الغاية والبعد عنها، وكذلك الشعر لأنه جار على سبيل بسائر الصناعات فمن استطاع أن يصل إلى غاية التجويد فذلك هو الشعر الجيد ومن عجز عن ذلك كان ضعيفًا في صناعته، ولكي يستطيع أن يضع الشعر في موضعه من الجودة والرداءة تحدث عن أساب الجودة وأحوالها، فإذا حاز أوصاف الجودة وأحوالها وعن الرداءة وأحوالها، فإذا حاز أوصاف الجودة في الشعر كان في نهاية الجودة وإذا اجتمعت فيه أوصاف الرداءة كان في نهاية الرداءة».

الجودة في الأسباب الأربعة المفردة لمكونة للشعر عند قدارة

1) جودة اللفظ: وضع قادة معايير لتلقي اللفظ الشعري من حيث استحسانه أو استهجانه، فطرح شروط تقتضي جودته في القيمة الشعرية بقوله «أن يكون سمحا، سهل مخارج الحروف من مواضعها، عليه رواية الفصاحية، مع خلوها من البشاعة»، ويمكن أن نلخص نتائج معيارية اللفظ الشعري:

أ- ضرورة وجوب سلامة اللفظ من حيث الشكل اللغوي وال نحو (النظام الصحيح).

ب- أن يكون مأولًا مأولًا في الاستعمال الشعري (البعد عن التعدد اللفظي والمعنوي).

ج- يأتي وفق الأوزان المضطرة والمأولًا عند العرب (النحو الإيقاعي الصحيح).

د- سهولة النطق في مخارج حروفه وكلماته بما يحمي الفصاحية المفردة والتركيب وهذا الاتجاه في الحكم على الشعر من حيث مكوناته اللفظية أمر مقبول وغاية في الجودة; لأن الشعر يحدث تأثيره بمجموعة ألفاظ تراكيبية، فضلاً عن أن اللفظة المفردة لا يظهر جمالها وحدها خارج الصياغة الشعرية، وإنما يتجلى هذا الجمال في حسن موقعها، وبعد تشكيلها والتنتمائها مع سواها وواحقها من ألفاظ التركيب، وهذا المعيار دالة على اهتمام قادة باللفظ الشعري لا باعتباره مفردة / كلمة، وإنما بمقصوده صياغة / كامل النظم، ليد جروده الجيد لدى المتلقي، سواء كان قارئًا أو سامعاً أو ناقدًا، فنجد قادة يبلقون مع

1 المرجع السابق، ص: 64 - 65

2 نفسه، ص: 74
الفصل الأول

الجانب النظري

الجاحظ في ذهابه إلى أن "أجد الشعر ما رأيت متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراً وحده، وسبك سبيلاً وحده، ولهذا ترى حروف الكلام، وأجزاء البيت من الشعر متفقة ملتمًا، وليئة المعاطف سهيلة.... حتى كأن البيت بسره كلمة واحدة، وحتى كأن الكلمة بسرها حرف واحد". فقدمه في تأميمه لهذا المعيار لتلقي الشعر بتوازى مع العديد من الاتجاهات النقدية التي عُنيت بِخواص الطبيعة الشعرية وميزاتها النوعية، ومن ثم اعتمد ذلك من معايير نقده وتقليبه للشعر الجيد.

ولعل أبرز مثل لشواهد في حسن اللفظ لا تخلو من الألفاظ الغريبة أو الحوشية كقول الله بن محمد السلاطاني: 

بمران تمر بها الرياح الزعازع
عليهنَّ تبكي الهاتفات السواجع
ما روعة طابت لهن المراجع
-ثم يقول وكلها الألفاظ غريبة وحشية:

تحرين مناً موعداً بعد رقية
فجنن هدوءاً والثواب كنتها

(2) الوزن بين الجودة والرداءة: يسعى قدامة بن جعفر من خلال هذا المعيار إلى تأصيل قواعد في الوزن من خلال أمرين:

أ- أن يكون سهل العروض

ب- أن يكون مرسمًا ونقصد بالترصيع وهو أن تُمثل مثلًا صاغية البيت الأول عروضه يقول قدامة بن جعفر في هذا: "أن يكون سهل العروض وفيه ترصيع" والمقصود بالترصيع بقول قدامة وهو أن يتوج فيه تصوير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصرف كما يوجد ذلك في أشعار كثيرة من القسماء المجددين.

-من المُحول وغيرهم وفي أشعار المحدثين المحسنين.

ولعل أبرز مثل للوزن الجيد نجده في أبيات المنخل بن عبيد البشكي:

البيان والتدوين، الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر)، تُح: عبد السلام محمد مارون، الناشر: مكتبة الخليج بالقاهرة، ط 7، 1419هـ، ص 67.

تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، د محمد زغلول سالم، الناشر المعارف الإسكندرية، (د ط)، ص 201 – 202.

1- نقد الشعر، لأبي الفرج قدامة بن جعفر، ص 79 – 80.

2- نفسه، ص: 79.
ونقد دخلت على الفتاً
الكافع الحساناء تـ
ومما جاد وزنه لما في من (الترصيع) قول أبي صخر الهدلّي:
وذلك هيكلاً، خوفًّا مبئـة
صراءً رغبةً، فـي منصب سنـم
كالدَّعس أسفهُها، مخصورة القـ دم
سودَّ ذوانيها، بيضًّ ترانُها

3) جودة القوافي: يقول قديمة «أن تكون عذبة الحرف سلسة المخرج، وأن تبدأ القصيدة بالتصريع، فإن الفحول المجيدين من الشعراء القدماء والمحدثين يتوخون ذلك، ولا يكدون يعدلون عنه، وربما صرعوا أبياتاً آخر من القصيدة»، ويعتبر كثرة التصريع في القصيدة من اقتدار الشاعر وسعة بحره، و مما جاد من القوافي، لأن الشاعر (صرع) في البيت الأول، ثم صرعُ أبياتًا أخرى بعده، قول أمير القيس:
«قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل يسقط اللوي بين الدخول فحومل
ثم قال بعد أبيات:
أفاطم مهلاً بعض هذا التدلل إن كنت قد أزعمت صرصمي فأجملي
حتى إذا أتى بأبيات بعد هذا البيت قال:
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلتي

4) جودة المعاني: إن أهَّم ما يطلبه قديمة من المعنى هو أن يكون مواجهًا للغرض المقصود غير عادل عن الأمر المطلوب، وذلك أمر يرجع إلى كيفية أداء المعنى وصورته، فقد يصعب حصر أقسام المعنى، أو تعداد أوجه المعاني، ومع ذلك يذهب قدامة وفق اقتراحاته بالمنطق العقلي الذي يحاول أن يطبق مقاييسه على الشعر، إلى اختزال المعاني الشعرية في ستة أغراض هي: المديح، والهجة، والرثاء، والنسب، والوصف، والتشبيه.
ويولي دورها في النسق الشعري حيال موضوعين أساسيين لا ينفصلان: هما الإنسان والطبيعية، بمعنى أن أغراض الشعر إما أن تصف عناصر الطبيعة، وإما تصور الإنسان

---
1. التفكير النقدي عند العرب، د. عيسى على العاكوب، ص: 218 - 219
2. نفسه، ص: 219
في أفعاله المتباينة، أو حالاته، المتعددة مدحًا، أو هجاء، أو رثاء، والمعول، في الحكم بالجودة، والرذاء، وهو صياغة المعنى، أو صورته.

وقدامة يردد من الشاعر حالة تناوله غرضا من الأغراض أن يقصر كلامه فيه، ولا يخرج عنه إلى غيره، وكأنه يشير من طرف خفي إلى وجوه وحدة المعاني في الغرض الشعري الواحد، ولا يرضيه هذا التنقل بين الأغراض، وأخذ يفصل ذلك من خلال نعوت المعاني التي وضعها معايير، لتحقيق مبدأ الجودة في الشعر، أو إعلاء قيمته الشعرية، فكان منها الغلول والمبالغة والتكافؤ والانتقادات والاستغراب والطرافة وصحة التقسيم وصحة المقاطلات وصحة التفسير، جاعلا لكل منها حادًا في المقصد والدلالة، وهي في ذاتها معايير داخليّة، ضمن بنية الشعر في تلقى النص الشعري والحكم عليه وفق الإسهامة من هذه المعايير ومدى تحقيقها في نطاق القصيدة الشعرية، والالتزام بها من منطق الفكر النفيدي لديه المبني على منطقة الشعر في أغلب الأحيان.

جودة المعاني من جهة صلتها بالأغراض الشعرية:

1- جودة المدح: أن يمدح الإنسان بما يكون له وفيه، وهي جمالية استفاقتها قدامة من قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه في وصف زهير «لم يكن يمدح الرجل إلا بما يكون للرجال».

أن يمدح الرجال بأربع صفات هي العقل والشجاعة والعدل والعفة يقول في هذا قدامة: »فضائل الناس، من حيث إنهم ناس، لا من طريق ما هم محتركون فيه مع سائر الحيوان، على ما عليه أهل الألباب، من الاتفاق في ذلك، إنما هي: العقل والشجاعة والعدل والعفة.«

بكون المدح تبعًا لأصناف الممدوحين ومطابقًا لهم، فلمدح الملوك معان خاصة به، ومدح ذوي الصناعات معان خاصة بهم، ولمدح القواد معان، ولمدح الشوقة معان، ومن جيد المدح قول محمد بن زياد الحرشي:

»تخالُهم للحلم صمَّامًا عن الخنا وخرُشا عن الفحشاء عند التهاجر«

1- أتفرج فرحة بن جعفر، ص: 95.
2- نفسه، ص: 96.
ومعنى إذا لاقوا حياة وعقة
والخفاظ كاليوث
وأخيّوادر
لههم ذل أتصف ولين تواضع
المعاشات
كأن بهم وصمًا يخافون عارة وليس بهم إلا أتقان
المعايير

ومن جيد مدع الملوك خاصة قول نصيب بن رباح في سليمان بن عبد الملك:
«أقفل لركب قافلين لقيتهما
أوشما وسولاً قارب
قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفوه محسن أهل
وذان طالب
فعاجوا فأثنا بأني أتت أهله وليو سكتوا أنت عليكم الحقيقائ

هو البدر والناس الكواكب حوله
هل يشبه البدر المضيء الكواكب؟

ومعنى إذا لاقوا حياة وعقة
والخفاظ كاليوث
وأخيّوادر
لههم ذل أتصف ولين تواضع
المعاشات
كأن بهم وصمًا يخافون عارة وليس بهم إلا أتقان
المعايير

ومن جيد مدع الملوك خاصة قول نصيب بن رباح في سليمان بن عبد الملك:
«أقفل لركب قافلين لقيتهما
أوشما وسولاً قارب
قفوا خبروني عن سليمان إنني لمعروفوه محسن أهل
وذان طالب
فعاجوا فأثنا بأني أتت أهله وليو سكتوا أنت عليكم الحقيقائ

هو البدر والناس الكواكب حوله
هل يشبه البدر المضيء الكواكب؟
يروعك من سعدين عمو جسومهما
تزهرد فيها
حين تقتطلها خيراً

3- جودة المراثي: لا يرى قدامة فصلا بين المرتية والمدحة سوى ما يدل به في المرتية على أن الشعر في هالك مثل قولهم (كان) و(تولى) و(قضى نحبه) وذلك لأنّ تأبين الميت إنّما هو مثل ما كان يمدد به في حياته.2

وقد يوما إلى الرثاء بأن يكون مثلا (ذهب الجود) أو (من للجود بعده) أو (تولى الجود)، قد يرثي الشاعر بذكر بكاء الأشياء التي كان المتوفى يحسن إليها في حياته، وسرور الأشياء التي كان يتبغها «إذّما يجب أن يبكي على الميت ما كان يوصف إذا وصف في حياته باغاثته والإحسان إليه».3

وقد يأتي الشاعر على ذكر كل الفضائل، وقد يركز في وصف فضيلة واحدة وكلما تشابهت المرتية مع المدح كان ذلك أفضل وأحسن في معانيها.

ومثال عن المراثي الجيدة قول كعب بن سعد يرثي أخاه:

«العمري لَنَّنَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَـَ~

لقول شعـٰ روـٰح
لـِــيـّــٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰـٰ~

4- جودة التشبه: يعتبر قادة الشبيبة أحد الأغراض المهمة التي يتناولها الشعراء إذ يرى الشبيبة يقع بين «شيئين بينهما اشتراك في معان تعمها، ويوصفان بها وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منها بصطفتها».2 يحسن الشبيبة حين يكون بين المشابهتين من وجوه الاشتراك أكثرها يكون بينهما من وجوه الافراد.

1- نسخة، ص: 112
2- نسخة، ص: 118
3- نسخة، ص: 119
1- المراجع السابقة، ص: 120
2- نسخة، ص: 124
الفصل الأول

الجانب النظري

«ومن التصرفات التي تحسن الشبيه:

1- جمع الشبيهات الكثيرة في بيت واحد.
2- تشبيه شيء واحد بأشياء في بيت أو تعبير قصير.
3- تشبيه شيء في تصرف أحواله بأشياء تشبهه في تلك الأحوال.
4- سلوك الشاعر في تشبيه شيء بشيء مذهبا جديدا لم يقع للشعراء من قبل.

ومثال على التشبيه الجيد قول يزيد بن عوف العليم يذكر صوت جرب رجل اللبن:

"فُجِبَ دَخَالًا جُرُعةٌ مَّتْوَارٍ، كَوْقُعَ السَّحَابَ بِالْطَّرَافِ المُمْدَدَ،

ومن ذلك قول أوس بن حجر يشبه إرتفاع أصوات قومه في الحرب تارة وتوفرها تارة أخرى، بصوت المرأة التي تجاهد أمر الولادة:

لنا صرخة ثم إسكاتها، كما طرقت بنفاس بكر.

5- جودة الوصف: يقُولُ قدامة في ذلك "إِنَّما هو ذكر الشيء كما فيه من الأحوال والهئينات".

ويحسن الوصف كلما أكثر الشاعر لقول قدامة "ولما كان أكثر وصف الشعرا إنما يقُ" على الأشياء المركبة من ضروب المعاني كأن أحستهم من أطي في شعره بأكثر المعاني التي الموصوف مركب منها، ثم يظهرها فيه وأولاها حتى يحكمه بشرع ويمثله للحسن بنعته.

ومثال على الوصف الجيد قول عدي بن الرقاع العاملي يصف الغبار الذي تثيره ستة آلاف وخمسين وعشرين عند درجة:

"يَتَغَاوِرُونَ مِنَ الْغَبَارِ مُلَاءٌ، يَتَطَوِّرُونَ أَيْ ضَلُّوا مَكَانًا نَاشِراً،

ومنه قول ذي الرمة:

«وَمِنْ بَيْنِها لولا النَّحْرُ تَفْرُحُ،

إِذَا ضَرِبِتْهَا الْرِّيْحُ فِي الْمَرْتَ أَشْرَفْتُ،

1- الفكر النقدي عند العرب، د. عيسى على العكوب، ص:210
2- نقد الشعر، لأبي قريش قدامة بن جعفر، ص: 124 - 125
3- نفسه، ص:130
4- المراجع السابق، ص:130
5- نفسه، ص: 132 - 133
6- جودة النسب: ويقصد قدامة بالنسب: "إن النسبة ذكر خلق النساء وأخلاقهن وتصرف أحوال الهوى به معهن".

والفرق بين النسب والغزل يقول قدامة: "والفرق بينهما إن الغزل هو المعنى الذي إذا اعتقاد الإنسان في الصبوة إلى النساء نسب به من أجله فكان النسبة ذكر الغزل، والغزل المعنى نفسه والغزل إنما هو التصامي والاستهتار بمودات النساء".2 وخير النسب ما أفضح فيه الشاعر عن ممالك التقليد والشوق وباح فيه عن إفراط في الوجد واللوحة، وأظهر فيه هيامه وحبه بالمحبوب والمشيد التام له يقول قدامة: "فإن النسبي الذي يتم به الغرض هو ما كثر فيه الأدلة على الممالك في الصواب، وتظاهرت فيه الشواهد على إفراط الوجد واللوحة، وما كان فيه من التصامي والرقة أكثر همساً يكون من الخشش والجلادة، ومن الخشوع والذلة أكثر ما يكون فيه من الإباء والعز".3

ويدخل في معان النسب أيضاً كل ما يذكر بالأحبة ويشوغ منهم من ديار ورياح وبروق وحمائم وخيالات، ومثال على ذلك قول أبي صخر الهذلي:

"أَمَامَا وَالذِي أَبَكُى وأَضحكُ والذِي أُمِرَّ الأَمْرُ"

لقد كنت أُتأبِية وفي النفس هجرها فما هو إلا أن أراها فجهاءة وأنسى الذي قد كنت فيه هجرتها

ثاني: الجودة في الأسباب الأربعة

(1) جودة انتلاف اللفظ مع المعنى: ومن صور الجودة في ذلك:

- المساعة: "وهو أن يكون الفظ مساوباً للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذه هي البلغة التي وصف بها بعض الكتَّاب رجلًا، فقال: كانت أعاناته قوالب لمعانيه، وذلك مثل قول امرئ القيس:

فإنا تبتغوا الدّاء لا تخفى وإن تبعثوا الحرب لا تفقُّد.

1- نفسه، ص: 134
2- نفسه، ص: 134
3- المراجع السابقة، ص: 134
4- نفسه، ص: 137
وإن تقتلونا نقتلكمٌ

2- الإشارة: "وهو أن يكون اللفظ القليل مشتملاً على معناً كثيرة ببѨواء إليها أو لحمة تنال عليها كما قال بعضهم وقد وصف البلاغة فقال: هي لحمة دالة، ومثل ذلك قول امرئ الفيصل:

فإن تهلك شنوءاً أو تبدل بعزَّهم عزَّهم وإن يذُّروا فذلِّهم، أنا لك ما أُنـَا لاً

3- الإدراة: "وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل للفظ يدل على معنى هو رده وتابع له، فإذا دل على التابع أبان عن المتبع، بمنزله قول الشاعر:

بعداء مهوى القرف إما لتؤَّفُ أبُوها وما عبِّدِ شمس فهاشَمٌٍ

فمن خلال هذا البيت نجد أن الشاعر يصف الطول الجيد فلم يذكره بلفظه الحقيقي وإنما أدى بمعنى تابع لطول الجيد وهو بعد مهوى القرف وسمي البلاغيون هذا بـ (الكتابة).

4- التمثيل: "وهو أن يريد الشاعر بإشارة إلى معنى فيضع كلاماً يدل على معنى آخر وذلك المعنى الآخر والكلام يبنان مشاً أراد أن يشير إليه.

ومثال ذلك قول الرماح بن ميادة:

فلا تجعلني بعدها في شماليك
ولو أنني أذنبت ما كنت هالكَا

ومعنى أن يقدم الشاعر معناه بطريقة (ضرب المثل).

5- المطابق والمジャンس: "ومعناهما أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة، فأما المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها مثل قول زياد الأغüm:

واللؤم فيها كامل وسنام

المراجع السابق، ص: 153
نسبة، ص: 154 - 155
نسبة، ص: 158
نسبة، ص: 160
وأما المجانس فإن تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متناجسة على جهة الانتقاء، مثل قول زهير:

كان عيني وقد سأل السليل بهم وحيرة ماؤهم لو أنهم أمم

الجودة في انتلاف اللفظ والوزن: ومن صور هذه الجودة:

1- أن يستخدم الشاعر الأسماء والأفعال تامة مستقيمة لا زيادة ولا نقصان فيها.

2- ألا يدفع الوزن الشاعر إلى تقديم ماحقة التأخير أو التأخير ماحقة التقديم.

3- ألا يدفع الوزن الشاعر إلى إدخال معنى ليس بالكلام حاجة إليه، ولا إلى إسقاط معنى لا يتم الغرض من دونه.

الجودة في انتلاف المعنى والوزن: وتتحقق بما يأتي:

1- أن تكون المعاني تامة مستوفاة لم تدفع الضرورة إلى نفسها وزيادتها.

2- أن تكون المعاني في جميع الغرض الذي أراد الشاعر، ولم تعدلها الضرورة.

الجودة في انتلاف القافية مع دلالة سائر البيت: «وهو أن تكون القافية متعلقة بما تقدم من معنى البيت تعلق نظم له وعلاطمة لما مر فيه».2

وصور الجودة هنا:

أ- التنشيط: «وهو أن يكون أولا البيت شاهدا بقافيته ومعناها متعلقا به حتى إن الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها إذا سمح أول البيت عرف آخره، وبانت له قافيته.

مثال ذلك قول الراعي:

ووجد حسى ضريتهم زرينا3

ب- الإبلاغ: "وهو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاما من غير أن يكون للقافية في ما ذكره صنع ثم يأتي بها لحالة الشعر فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره من المعنى في البيت كما قال أمير القيس:

وأرحلنا الجزء الذي لم يشبَ.4

الجودة عند ابن سلام الجمحي

1 المرجع السابق، ص: 163
2 نفسه، ص: 167
3 نفسه، ص: 167
4 المرجع السابق، ص: 168
يعتبر ابن سلام من النقاد الذين أولو لمعيار الجودة العناية الكبيرة في ترتيبه الطبوقي، فالشاعر المفكر المجيد عند ابن سلام مقدم على الشاعر المقل المجيد، و المفكر المجيد المتعدد الأغراض مقدم على المفكر المجيد الذي لم تلق في غرض أو اثنين. أما كثرة الشعر و تنوع أغراضه فإنهما لا يقدمان الشعر إذا كان شعره رديعا لأني معيار الجودة يحتم تقدير المجيد على غيره من الشعراء حتى لو سلك أغراضا عديدة في الشعر. هذا حكم ابن سلام و عليه فما هي أسس الجودة التي حكم بها ؟ فهو يقول مثلا: «و كان الأسود شاعرا فحا و كان أكثر التنقل في العرب يجاورهم، فيذم و يحمد، وله في ذلك أشعار، وله واحدة رائعة طويلة، لاحقة بأجود الشعر، لو كان شفعها بمثالها قدمناه على مرتبته »1. و يقول أيضا في حسان بن ثابت « أشعةهم حسان بن ثابت .... و هو كثير الشعر جيد »2. و بسبب الجودة وضعه ابن سلام على رأس فحول شعراء القرى العربية. و يقول أيضا « كان قردا بن حش من شعراء غطبان وكان قليل الشعر جيد »3. من أجل هذا جعله في ذيل الطبقة الثامنة من الشعراء الإسلاميين.

و الجودة عند ابن سلام هي من المعايير الأساسية للحكم على الشعر و الشعراء إضافة إلى معياري الكلمة و تعدد الأغراض الشعرية و من خلال هذا كله نجد أن ابن سلام اعتمد على معايير فاضلة من خلالها بين الشعراء و التي استقاها من نقد و على رأسهم الأصمعي.

و هذا باختصار عن معيار الجودة لدى ابن سلام و الذي سنعود إليه و نوفي حقه في الدراسات القادمة و قبل هذا سنحاول تقديم لحمة موجزة عن حياة ابن سلام الجميحي.
خلاصة الفصل

ومن هنا نستنتج بأن النقد هو ممارسة عرفها الشعراء منذ العصر الجاهلي، إذ كان يبني على أحكام جزئية انتباعية لم تكن مفهومة إلا لدى صاحبها. و هذه الأحكام كانت تهتم بالنتائج الجيدة لدى الشاعر حتى ينال أعلى المراتب والدرجات، فاتخذ من الجودة المقياس الذي يبني عليه أحكامه. واستمر ذلك الأمر إلى غاية نهاية القرن الثاني الهجري وبداية القرن الثالث الهجري.

حيث ذهب النقاد الأولين يضعون أسس منهجية قوامها الجودة في تصنيف الشعر، و الشعراء إلى مراتب و درجات، و ذهب كل ناقد يضع قوالب خاصة به لمفهوم الجودة وأسسها ومعاييره الحكم على الشعراء.
الفصل الثاني
الجانب التطبيقي

المبحث الأول: لَمَحة موجزة عن الكاتب وكتابه
مط 1: لَمَحة موجزة عن حياة محمد ابن سلام الجمحي
مط 2: أهمية ابن سلام ومكانه
مط 3: كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام الجمحي
مط 4: المأخذة التي أخذت على الكتاب

المبحث الثاني: الجودة وتجلياتها في كتاب طبقات فحول الشعراء
مط 1: مظهر الجودة عند الشعراء الجاهليين
مط 2: مظهر الجودة عند الشعراء الإسلاميين

خلاصة الفصل
لمحة موجزة عن الكاتب وكتابه

لمحة موجزة عن حياة محمد ابن سالم الجمحي

1- مولده ونشأته:

"هو أبو عبد الله محمد بن سلام بن عبيد الله بن سالم الجمحي البصيري، مولى قامة بن مظعون الجمحي بالولاء، ولد بالبصيرة سنة (139هـ، 756م)، وتوفي في بغداد سنة (232هـ، 847م) نشأ في البصرة في بيئة علماء العربية الأوائل، وفصولها، والتقى كثيراً من علماء اللغة والنحو ورواد الأدب، والثقافات، وسمع من شيوخ العلم والحديث، والأدب وروى عنهم، فحدث عن حمد بن سلمة، ومبارك بن فضالة، وزائدة بن أبي الرقاء وأبي عوانة، والأصمعي، وأبي عيدة... وقد أشتهر ابن سلام بسعة علمه وصدق روايته، و من روى من التقات: أحمد بن يحيى ثعلب، وأبو يحيى ثعلب، وأبو حاتم السجستاني، وأبو الفضل الرياشي، والمازني، والزياذ، وأحمد بن حنيل، وعبد الله بن أحمد، وأبو خليفة الجمحي".

2- مؤلفاته:

"ذكر بن التندو في الفهرست هذه المؤلفات لابن سلام

1- كتاب الفاصل (وعي الفاضل) في ملح الأخبار والأشعار

2- كتاب بيوثات العرب

3- كتاب طبقات الشعراء الجاهليين

4- كتاب طبقات الشعراء الإسلاميين

5- كتاب الحلب وأجر الخيل

وذكر له باقوت الحمودي في معجم الكتب كتابين هما:

6- كتاب في طبقات الشعر

7- غريب القرآن

8- كتاب طبقات فحول الشعراء".

المراجع:

1. التفكير النقدي عند العرب، د. عيسى علي المالك، ص: 107، 108

2. المرجع نفسه، ص: 108
и هذا الأخير هو محل اهتماماً من دراستنا هذا فهو يعتبر من أقدم كتب النقد الأدبي، ومؤلفه ابن سلام الجمحي من أوائل النقاد الذين اعتنوا بالشعر والشعراء فهو أول من خص النقد الأدبي بدراسة مستقلة بعد أن كان جملاً وفقرات متتالية في بطول الكتب، وقد اعتبره الدارسون أول كتاب ألف في تاريخ الأدب العربي، و لنا يكاد يغفله بحث أو دارس يؤرخ لحركة النقد العربي، ويعتبر تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر« من أوفي التحقيقات وأدقها لما بذل فيه من جهد كبير.

و يظهر ابن سلام في كتابه ( طبقات فحول الشعراء ) ناقداً أدبياً متميزاً، أدرك منذ وقت مبكر كثيراً من أسباب الجودة والإخفاق في الشعر العربي القديم، وتجل آراءه الخاصة المبثوثة في الكتاب على ذوق نقيدي حسین، قادر على إزالة الشعراء منازلهم، واستخلاص الرائع من أشعارهم على سبيل الحجة والدليل.

أهمية ابن سلام ومكانته

يعتبر ابن سلام الجمحي أول من نظم البحث في القضايا الأدبية والتقنية المختلفة، وعرف كيف يعراضها ويرهن عليها وينبسط منها الحقائق الأدبية في كتابه طبقات فحول الشعراء. وقد شارك معاصره في كثير من الأفكار، ولكنه محصها وحققتها وأضاف إليها، وصبغها بصبغة البحث العلمي وسلكها في كتاب خاص هو خلاصة ما قبل في عهده من أشعار الجاهليه، والإسلام، فالفرق بينه وبين من عاصره كثير. حيث زاد على ما قالوا في النقد الفني وفي النظر إلى الأدب، حيث أوجع كل معرف عصره في النقد في كتابه الذي يعد من أسبق الكتب في ذلك المجال، فكان أول المؤلفين في النقد الأدبي، بالإضافة إلى أنه قد جمع الآراء المبعثرة التي قالها الأدباء، والعلماء، في الشعر، والشعراء، ودرسها دراسة نقدية بروح عالم متائر بطريقة عصره في الاستيعاب، والشرح والتحلي والذكر الأسباب والسببات في كتابه طبقات فحول الشعراء الذي سلفصل الحديث عنه في الفصل الموالي.

كتاب طبقات فحول الشعراء لابن سلام
القسام: 1

التمثيلية:

قام محمود شاكر بتحقيق الكتاب و جعله تحت عنوان (طبقات فحول الشعراء)

و قد برر ذلك بالأسباب التالية:

أ- أن اسم "طبقات الشعراء" لا يطابق موضوع كتاب ابن سلام كل المطابقة، فإنه لم يستوف فيه ذكر الشعراء بل اختار منهم عددا معلوما، و الذي أغلبه من كبار الشعراء أضعف أضعف ما ذكره. إذن فاسم "طبقات الشعراء" "شوب فضفاض لا يطابق ما في كتابه".

ب- لأن محمود شاكر رأى أن ابن سلام قد أوجد اللظ المطابق لمعنى ما أراد في كتابه، فهو يقول «فاقترنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا».

و هذه كلمة دالة، و هي مطابقة لما فعل، فإنه وازن بين الشعراء،» فألف من تشابه شعره منهم إلى نظرائه و «نزلهم منازلهم» بعد الفحص و النظر و الرواية عمن مضى من أمل العلم، إلى رهط أربعة، على أنهم أشعر العرب طبقة "فرأيت أن تسمية الكتاب باسم "طبقات فحول الشعراء" أولى و أمل من تسمية طبقات الشعراء».

ج- رأى محمود شاكر على نسخته التي نقلها بيده منذ زمن طويل عنوان طبقات فحول الشعراء، ولم يدر أكانت هذه الكلمة في الأم العتيقة، ثم نقلها كما هي، أمكتبها من عنه؟ و هو ترجح الأول، و أجهل من أن ينظر نظرا صحيحا في مثل هذا الأمر الدقيق، المحتاج إلى التمييز و البصر.

من أجل هذا لم تتردد محمود شاكر في جعل اسم كتاب طبقات فحول الشعراء، فإن كان هو الاسم القديم الذي سمى به ابن سلام كتابه، فذاك و إلا فإنه يراه بعد ذلك كله بأن يكون اسما للكتاب، دون الذي عرف به، يقول الدكتور عيسى علي العاكوب "و قد أكذ التسمية الأخيرة، ودافع عنها الأستاذ محمود محمد شاكر و نشر الكتاب تحت هذا العنوان".

---

1. كتاب طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجموح، ص: 21
2. نفسه، ص: 24
3. نفسه، ص: 21
4. التفكير النقدي عند العرب، د. علي عيسى العاكوب، ص: 69
2- سبب تأليف الكتاب:

يبدو أن ابن سلم أراد أن يقدم لأهل العلم كتابا يتضمن حمالة معرفية لا يستغني عنها من أراد الإمام بشيء من أمر العرب، من جهة شعرهم وشجاعتهم وسعادتهم وأيامهم، وغيل هذا الكتاب جزء من المشروع. يقول في مقدمة الطبقات: "ذكرنا العرب وأشعارها، المشهورة المعروفين من شعرا وفرسانها وأشراها وأيامها، فاقتصرا من ذلك ما لا يسهل عالم، ولا يستغني عن علمه ناظر في أمر العرب، فبدأنا بالشعر، ففضلت الشعراء من أهل الجاهلية والإسلام، والمخضرين الذين كانوا في الجاهلية وأدركوا الإسلام، فنزلناهم منازلهم واحتجنا لكل شاعر ودعا له من جهة، وما قال فيه العلماء".

3- ماهية الكتاب:

إن المتأم للكتاب طبقات حول الشعراء نجد أن ابن سلم قسم كتابه إلى قسمين رئيسيين: المقدمة والمتن ونجد أن الرجل أراد في المقدمة أن يحدد المؤثرات العامة والخاصة التي يؤثر في الأحكام النقدية على أشعار الشعراء، أما المتن فقد خصه لتقييم القول في طبقات الشعراء، جاهلين وإسلاميين.

- افتتح ابن سلم كتابه بمقولة قيمة تعكس أهمية الكتاب، وغايته، ومنهجه، أما أهمية الكتاب فتتحلى في عدة أمور: اهتمامه بالشعر العربي القديم، وحيوات قاتلية وأحالهم، يقول: "ذكرنا العرب وأشعارهم، والمشهورين المعروفين من شعرائها وفرسانها، وأشراها وأيامها، إن كان لا يخل بالشعر قليلا واحدة من قبائل العرب وكذلك فرسانها وساداتها وأيامها، فاقتصرا من ذلك على ما لا يسهل عالم، ولا يستغني عن عمله ناظر في أمر العرب، فبدأنا بالشعر".

و هو في عمله هذا لا يهدف إلى جمع أشهر القدماء والحديث عن أخبارهم وأيامهم فحسب، بل إن هدفه الرئيس هو تخصيص ذلك الشعر مما علق به من شواويب وما أضيف عليه من منوع متعلق، ثم النتبيه على مكانة كل شاعر ومنزله بين شعراء عصره ولي يحقق ابن سلم هذه الغاية تراه قد استعرض معظم المقياس النقدية التي كانت سائدة في عصره ثم حدد بعض الشواويب التي

1 طبقات حول الشعراء، محمد بن سلم الجمحي، جزء 1، ص: 23-24.
سيأخذها من ذلك ما نراه من رفضه، الأخذ بما ورد في بطن الكتب من أشعارها يقول: وقد تداولهم قوم - أي شعر - من كتاب لم يأخذوه عن أهل البادية، ولم يعرضوه على العلماء، وليس إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شيء منه، أن يقبل من صحيفة، ولا يروي عن صحفن " ومنها ما نراها من التنزامه برأي الجماعة حين يقول " وقد اختلفت العلماء بعد في بعض الشعر، كما اختلفت في سائر الأشياء، فأماما اتفقوا عليه، ليس لأحد أن يخرج منه " ثم تحدث عن أهمية عمل النافذ و ما ينبغي أن يتزود به من صنوف العلم و الثقافة، إضافة إلى الدوق و الفطرة، و الدرس و الممارسة، و ذلك كي يتمكن من القيام بالمهام الملقات على عائشه و التي منه إضافة إلى تمييز الجيد من الرديء، تلخيص ذلك الشعر ..... من مصنع و في مقدمة كتابه تحدث أيضا عن الكثير من الأمور التي تتعلق بالشعر و ودياته و بعض ما أصابه من عيب و آفات تنطلق بالنشاء الأولى و تدلل عليها و أبرز أخبار الشعر والشعراء، وما طرأ على الشعر في الإسلام ... وكذلك اللغة العربية و أول ما تحدث بها، وال نحو العربي و نشأة مباحث و تطورها ... وقبل أن يشرع في بناء طبقاته حدد النهج الذي سيسير عليه بقوله: "... فاقتصرنا من الفحول المشهورين على أربعين شاعرا، فألقنا من تشابه شعره منهم إلى نظراته فوجدناهم عشر طبقات، أربعة رهط كل طبقة مكافئة معدلين وقال في موضع آخر " ثم اقتصرنا - بعد الفحص والنظر والرواية عن مضى من أهل العلم، إلى رهط أربعة، اجتمعوا على أنهم أشعر العرب طبقا، ثم اختلفوا بعد. ونسعى اختلافهم و اتفاقهم، ونسمي الأربعة.

القضايا النقدية التي تتناولها ابن سلام في كتابه

أولا: قضية الانتشار:

تعت قضية الشعر الموضوع أبرز القضايا النقدية التي عالجها ابن سلام في كتابه، وهو أول من انتبه إلى خطورة هذه القضية في عصره، ذلك العصر الذي ازدهرت فيه حركة التدوين، حيث اهتم علماء العربية بجمع العلوم والمعارف العربية والإسلامية من أفواه الرواة، و عكفوا على تحقيقها والتتأكد من صحة رواياتها و تخلصها مما علق بهم من أغلال الرواة ووضع الوضعين، وقد لاحظ
ابن سلام أن بعض الشعر الجاهلي قد تكونه الرواية مصنوع، واستدل على ذلك
بديلين، أولهما: عدم وجود قريبة على أنتما بعض ما يتناوله الرواية مكتوبا إلى
العصر الجاهلي، فهو لم يأتي مرويا عن أهل البادية، ولم يعرض على علماء
اللغة العربية الثقات.
ثانيا: يعود إلى ضعف مستوى ذلك الشعر، فهو شعر مصنوع مفعل موضوع كثير
لا خبر فيه، ولا حجة عربية، ولا أدب يستفاد، ولا معنى يستخرج ولا مثل
يضرب، ولا مديح رائع، ولا هياة مدقع، ولا فخر معجب ولا نسب مستترف...;
ومن هؤلاء الرواة نجده ينتمي محمد بن إسحاق صاحب السيرة، إذ يرى أنه هجٌّ
الشعر وأفسده وأورد في كتابه أشعاراً لأناس لم يقولوا الشعر قط، بل أورد أشعاراً
ترجع إلى قوم عاد وثمود، قال: كتب في البيت أشعار الرجال الذين لم يقولوا الشعر قط، وأشعار النساء فضلاً عن الرجال، ثم جاور ذلك إلى عاد وثمود، فكتب لهم
أشاعراً كثيرة، وليس بشعر، إنما هو كلام مؤلف معقود بقوافل، الأمر الذي جعل
ابن سلام ينفي هذا الشعر، ويرفضه بينما الأدلة التي تستدعى رفضه، وهي:
1 - أدلة قرآنية: وتتمثل فيما جاء في القرآن الكريم من آيات عديدة تتحدث عن الأمم
السابقة ولنقطع ذاكر عن بعضها، فلهذا يقول: [ وأنه أهل النزاع الأولي وتمود فما أبقى
ويقول في عاد ] فهل ترى لهم من بشر؟ فإذا كان الله قد أهل عاد وتمود جميعاً
فمن إذن حمل هذا الشعر ؟، ومن أدائه منذ آلاف السنين؟.
2 - أدلة تاريخية: وتتمثل في رجوع ابن سلام إلى تاريخ اللغة العربية؛ واختلاف
لهجات العرب، وكذلك إلى تاريخ الشعر العربي، حيث يرى:
- أن اللغة العربية لم تكن موجودة في عهد عاد وتمود، وليس يصح في الأذهان أن
يوجد شعر بلغة لم توجد بعد. فامرأ من تكلم بالعربية هو إسماعيل بن إبراهيم واسماعيل
كان بعد عاد وتمود.
- أن الشعر الموضوع - المنحول - الذي نسبه الرواة إلى قوم عاد لا يمثل لغة عاد
فعاد من اليمن، وليس اليمنيين مختلف عن هذا اللسان العربي، ويستدل ابن سلام على
ذلك بقول أبي عمرو بن العلاء: " العرب كلهما ونذ إسماعيل، إلا جميرا وبيضا جزهم". 
وقوله: "ملساناً جميلاً وأقصى اليوم يلم بساننا ولا عربيينهم بعرفتنا"¹ ويقيم
الحجة على رواية تلك الأشعار الموضوعة يقول: "فكيف بما على عهد عاد وثمود ،
مع تدعيه ووهيّ؟ فلو كان الشعر مثل ما وُضع لابن إسحاق، ومثل ما روى
المصطفىً ما كانت إليه حاجة، ولا فيه دليل على علم".²
-
أن تاريخ الأدب العربي لا يذهب بالشعر الجاهلي إلى ذلك العصر الموغلو في القدم ،
بل إن ازدهار الشعر لم يكن قبل الإسلام بكثير ، "ولم يكن لأوائل العرب من الشعر إلا
الأبيات يقولها الرجل في حاجته ، وإنما قصدت القصائد، وطُول الشعر في عهد عبد
المطلب وهاشم بن عبد مناف ، وذلك يدل على إسقاط شعر عاد وثمود وجميره
وُقّع".³ ثم يحدد ابن سلام الأسباب التي جعلت العرب تصنع الشعر وتتبَّه لهداية
يقولوه، فقير أن الانتقال يرجع إلى عاملين :

1- العصبية القبلية في العصر الإسلامي : إذ حرصت بعض القبائل العربية على أن
تضيف لإسلامها ضرورًا من المكانة والمجود ، فوجدت في الشعر ضالتها ، ومعلوم أن
الشعر الجاهلي قد ضاع منه الكثير ، قال أبو عمر بن العلاء: "ما انتهى إليكم ممأ
قامت العرب إلا أفقّه ، ولو جاءكم وأراً لاجاكم علم وشعر كثير".⁴ أما أسباب ضياع
ذلك الشعر فقد بيّنها ابن سلام في قوله: "فجاء الإسلام فتشاغلت عنه العرب بالجهاد
وغزو فارس والروم، ولهب عن الشعر وروايته. فلما كثر الإسلام، وجاءت الفتح،
واطمئنت العرب بالأمصار، وراجعوا رواية الشعر، فلم يؤولوا إلى ديوان مدوون ولا
كتاب مكتوب ، وأجا هذا وقد هلك من العرب من هكذا بالموت والقتل ، فحفظوا أقل
ذلك ، وذهب عليهم منه كثير".⁵ لذلك يلاحظ ابن سلام قيام بعض القبائل التي قلّ نصيبها
فيا بقى من شعر بالوضع على ألسنة شعرائهم، يقول ابن سلام: "فلمما راجعت العرب
رواية الشعر ، وذكر أيامها وأثرها ، استقل بعض العشائر شعر شعرائهم ، وما ذهب
من ذكر وقائعهم. وكان قوم قلّت وقائعهم وأشعارهم ، فأرادوا أن يلحقوا بمن له

¹ المرجع نفسه، ص:11
² نفسه، ص:11
³ نفسه، ص:62
⁴ نفسه، ص:25
⁵ المرجع السابق، ص:25
الوقائع والأشعرا، قالوا على ألسنة شعرائهم ثم كانت الرواية بعد، فزادوا في الأشعار التي قيلت.1

2- الرواية وزيادتهم في الأشعار: لم يقتصر دور بعض الرواية على وضع الشعر ونسبته إلى غير قائلة بل تجاوز ذلك بكثير، فهم رغم وضعهم في المرتبة الثانية بعد تزيد العشائر أشد خطراً على الشعر والشعراء، حيث لم يقتصر دورهم على الوضع بل تجاوزه إلى التزييف والخلط، من ذلك مثلًا ما كان يفعله حمّاد الراوية، الذي "كان يحل شعر الرجل غيره، وينحله غير شعره، ويزيد في الأشعار".2 وقد ذكر ابن سلام العديد من الروايات والوقائع التي تدل على تزيد الرواية فيه وتزييف وخلطه.

و هنا تجد الإشارة إلى أن ابن سلام قد وضع قاعدة نقدية هامة من قواعد الدرس النقدي التطبيقي، حيث لفت الأنظار إلى ضرورة تحقيق النص قبل دراسته، والتأكد من صحة نسبته لقائته؛ وصحة روايته، وهو يرى أن هذا الأمر رغم صعبه إلا أنه لا يخفى على أهل العلم: "ليس يُشكّل على أهل العلم زيادة الرواية ولا ما وضعوا، ولا ما وضع الموئدون، وإنما عضل بهم أن يقول الرجل من أهل البادية من ولد الشعرا، أو الرجل ليس من ولده، فيشكل ذلك بعض الإشكال".3

ثانياً: فكرة الطبقات:

سعى ابن سلام منذ البداية إلى جمع شتات مشاهير الشعراء وجعلهم في طبقات تبين مكاتبهم، وهذا العمل كان يتطلب من ابن سلام التعرض للنصوص الأدبية بالتحليل حتى يظهر جمالات الفن ويلعف قصورها، إلا أنه انصرف إلى الشعراء أنفسهم ذاكراً لهم مايراء جداً دون أن تذكر أسباب تلك الجودة في الغالب، ولناظرنا إلى مصنفه سنجد أنه يشمل على 114 شاعراً جاء توزيعهم في الطبقات التالية:

1 - طبقات الشعراء الجاهليين: وهي عشرة، في كل طبقة أربعة شعراء.
2 - طبقات الشعراء الإسلاميين: وهي عشرة، في كل طبقة أربعة شعراء.
3 - طبقة أصحاب المراثى: وتضم ثلاثة شعراء وشاعرة، الخنساء، وهي المرأة الوحيدة التي أوردها ابن سلام في طبقاته.

1 نفسه، ص: 42.
2 نفسه، ص: 48.
3 نفسه، ص: 42.
الفصل الثاني

4- طبقة شعراء القرى العربية: وتنمو على لوتين وعشرين شاعراً، قسَموا على

النحو التالي:

أ- شعراء المدينة خمسة، ثلاثة من الخزرج واثان من الأوس.

ب- شعراء مكة تسعة.

ج- شعراء الطائف خمسة.

د- شعراء البحرين ثلاثين.

ه- طبقة شعراء اليهود وتشمل ثمانية شعراء.

وقد ندب ابن سلام - وهو يُقدّم على وضع الشعراء في طبقات ـ على أن ذكره
شاعر قبل قرنانه في الطبقة الواحدة لا يعني أنه الأعلى مكانة؛ المقدَّم على بابي شعراء
الطبقة، بل إن هذا الأمر لا يحتمل لأى معيار نقيض، لأنه لا بد أن يبدأ بذكر أحمد يقول:

"وليس تبدينا أحدّه في الكتاب نحِّم له، ولا بد من ميتدا". ومع ذلك فإننا نجد ابن
سالم ـ في كثير من الأحيان ـ يبرز بين شعراء الطبقة الواحدة، أو بين شاعر آخر
داخل الطبقة، فيورد رأى العلماء فيهِم ويختار من شعرهم ما يؤكد هذا الرأى، ثم يفسر
بعض الكلمات الغريبة التي قد ترد في الشعر ـ وهذا قليل ـ أو يورد آراء علماء اللغة
 فيها، وفي حالات قليلة يبين رأيه، وشواهد ذلك في طبقات كثيرة، من ذلك ـ مثال ـ ما
نراه في المفضلة بين شعراء الطبقة الأولى من الجاهليين ـ وهم: أمَّرِ القَيْسِ والتابعة
الجنباني وزهير بن أبي سلمي والأعشى ـ حيث يورد العديد من آراء العلماء واعتراضهم
في المفضلة بين شعراء هذه الطبقة، من ذلك قوله: "أخيرني يومن بن حبيب: أن
علماء البصرة كانوا يقدِّمون أمَّر الرقَّيّ بن حُجَّر، وأهل الكوفة كانوا يقدِّمون الأعشى
، وأنَّ أهل الحجاز والبادية كانوا يقدِّمون زهيرًا والتابعة"، وفِي تبرير فضل أمرٍ
القَيْسِ على شعراء طبقته قوله: "فاحتج لمَّرَأُ القَيْسِ من يُقِدَّمه قال: ما قال ما لم
يقولوا، ولكنَّه سبَّع العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنها العرب، واتبعته فيها
الشعراء: استيقاف صحبته، والتبعاء في الديار، ورقة التسبيب، وقرب المأخذ، وشبَّه
النساء بالظباء وبيضٍ، وبَّه الخيل بالعقبان والعصي، وقيد الأوَّاد، وأجاد في

1- المرجع السابق، ص: 50
2- المرجع السابق، ص: 52
الشبيبة ، وفصل بين النسبة وبين المعنى "، أما ابن سلام فرئى أن امرأة القيس : "كان أحسن أهل طبقة تشبهها ، وأحسن الإسلاميين تشبههم ذو الرمة". ثم يورد آراء من احتج من العلماء للنبابة وهذى والأعشي ، ويناقش بعضها ويبين رأيه فيها أحياناً . وقد اعتمد ابن سلام في مفاضله بين الشعراء وتصنيفهم في طبقات تبين مكانتهم

الأدبية ومرتبتهم الشعرية على ثلاثة مقاييس عامة ؛ هي :

1 - كثرة شعر الشاعر .
2 - تعدد أغراضه .
3 - جودة شعره .

أما مقياس الكثرة وأعتاد ابن سسلام عليه في المفاضلة بين الشعراء فإنه جلياً في غير موضع من كتابه ، من ذلك مثلاً - ما نراه في تبرير تأخر منزلة طرفة بن العبد وعبيد بن الأبرص وعُلَقَّمة بن عبده وعدى بن زيد ، إلى الطبقة الرابعة ، إذ يقول : " وهم أربعة: رَهَطٍ فَحُولُ شَعراء ، موضعهم مع الأوائل ، وإنما أُخِل بهم قِتَل شعرهم بأيدي الرواة ".

وذلك قوله في معرض حديثه عن الطبقة السابعة: " أربعة: رَهَطٍ مُحْكِمُون مَقْلُون وفِي أشعاعهم قِتَل فَذاك الذُّي أخُرَّه". وكذلك مقياس تعدد الأغراض الذي يتضح أثره بصورة جليا في مواضع عديدة من طبقاته ، من ذلك مثلاً - ما نراه في تبرير وضع كثرة عزة في الطبقة الثانية من فحول الإسلام ، وجميل بن معمر في الطبقة السادسة ؛ مع أن جميلاً مقدّم في الشبيبة على كثب على أصحاب النسب جمعاً ، قال ابن سلام : " وكان لكتب في الشبيبة نصبًا وافر وجميل مقدّم عليه وعلى أصحاب النسب جمعاً - في النسب ، وله في فنون الشعر ما ليس لجميل ، وكان جميل صادق الصيابة ، وكان كثبَ يُقُول ولم يكن عاشقاً ، وكان راوية جميل ".

ولن يخفى على الدارس أن الكثرة وتعدد الأغراض لا يمكن بالاعتماد عليهما كمقاييس نقديين لدرس الشعر وتقويمه ، وأن ابن سلام نفسه كان قد أشار - في مقدمته - إلى قضية الانتحال والوضع في الشعر ، وأن الرواة لعبوا دوراً خطيراً في الإقلال من

1 - نفسه ; ص: 55.
2 - نفسه ; ص: 55.
3 - المرجع السابق ; ص: 137.
4 - نفسه ; ص: 155.
5 - نفسه ، جزء 2 ; ص: 555.
شعر شاعر والإكثار من شعر غيره .. لذلك أرى أن أهمية هذين المقياسين تتبع من ارتباطهما بمقياس الجودة، فالشاعر المتكدر المجيد مُقدّم عند ابن سلام - على الشاعر المُقلّ الماجيد، والمُكتدر المُتفقد الأغراض مُقدّم على المتكدر الماجيد الذي لم يُقل إلا في غرض أو اثنين ، أما كثرة الشعر وتتوع أغراضه فإنهم لا يجعلان الاجتماع بهما مقدماً إذا كان شعره ردةً . لذلك نرى ضرورة التعرف على كيفية حكم ابن سلام على الشعر بالجودة ، وما هي أسس تلك الجودة حين يقول - مثلًا - : "كان قَرَّاد بن حَنْش من شعراء عُطْفَان، وكان قليل الشعر جيده" 1، أو يقول في حسان بن ثابت : " وهو كثير الشعر جيده" 2، أو يقول: "وكان الأسودُ شاعرًا فَخَلًا ، وكان يُكرِّر التَّنْقِل في العرب يَجاورُهم ومَن وَويَحُم، وله في ذلك أَشْعَرًا . ولله واحدة رائعة طويلة ، لاحقة بأَجُود الشعر ، لو كان شُفَّعُها بمثَلها قَدُّمَناه على مِرْتِبته" 3، إذن ما هي المقايسات التي استند إليها ابن سلام وهو يصدَر الحكم بالجودة فيقدم شاعراً على آخر ، أو يقرن شاعراً بآخر ؟

لم يذكر ابن سلام جهود السابقين ونُظُرَاتهم في الشعر والشعراء ، بل يكاد الاعتماد على آراء أهل العلم والخبرة أن يكون أهم مقاييس الجودة عنه ، هذا ما يقره ابن سلام في مقدمة كتابه حين يقول : " واحتَجنا لكل شاعر بما وجدنا له من حُجة ، وما قال فيه العلماء" 4، وكذلك حين يقول : "ثم إنما اقتصرنا - بعد الفحص والنظر والرواية عن من مسَى من أهل العلم - إلى رَهْب أربعة اجتمعوا على أنهم أَشْرَع العرب طِبَقَة ، ثم اختلفوا فيها بَعْد . ونسوَّقو اختلافهم واتفاقيهم ، ونستمَّ الأربعة ، ونذكر الحجة لكل واحد منهم" 5، فهو غالبًا ما يستقصى آراء العلماء في منزلة شعراء طبقاتهم ، وأحياناً يناقش تلك الآراء وبيَّن رأيه فيها . وأمثلة ذلك كثيرة متنوعة ، منها قوله في النابية الجدّي : "كان الأصمعي يمدحه بهذا وينسبه إلى قلعة التكلف" 6، وقوله كان علماً

---

1- نفسيه، جزء 2، ص: 733
2- نفسيه، جزء 1، ص: 215
3- نفسيه، ص: 147
4- المرجع السابق، ص: 24
5- نفسيه، ص: 49-50
6- نفسيه، جزء 2، ص: 25
يقولون: "أحسن الجاهلية تشبيهاً أمرو القيس، وأحسن أهل الإسلام تشبيهاً ذو الرمة".

وأما تجدر ملاحظته في هذا الموضوع أن عدم تعيين ابن سلام على بعض ما يورده من أراء العلماء، فإنه يعني موافقته على تلك الأراء، أو فلنقل عدم تحفظه عليها، إلا لمن وجدناها يخالف ما لا يروقه من تلك الأراء في مثل قوله: "وكان كثير شاعر أهل الحجاز، وإنهم ليقمنون عليه بعض من قدمنا عليه"، وكذلك قوله في رؤية بن العجاج: "وقال بعضهم: إنه أقصى من أبيه، ولا أحسب ذلك حقاً، ومثل هذه الأراء على قلتها تدلل على إعمال ابن سلام فكره وتقليبه الرأى قبل أن يعتد به ويعمده.

إذ إن السبب والإبداع مقياس هام من مقياس الحكم بالجودة عند ابن سلام، حيث رأيناه يبرر تقديم أمرى القيس على فحول شعراء الجاهلية بقوله: "ولكنه سبق العرب إلى أشياء ابتدعها، واستحسنتها العرب، واتبع فيها الشعراء"، كما نراه يبرر وضع الراعي المبرى في طبقة فحول الإسلاميين الأولى بقوله: "وكان يقال له في شعره:

"كأنه يعنى الفالقة غير دليل! أي أنه لا يحترى شعر شاعر ولا يعارضه".

والمقاييس الفنية العامة أثر واضح في حكم ابن سلام على الشعر بالجودة، وهي كثيرة متنوعة تصل للفظ الشعر، أو بلغته، أو معانيه وصوته...، وهي في معظمها عامة تحتاج إلى توضيح وتحديد، ففي مضايقاته بين بيت شعر لجرير وأخر للأخطل، نجده يقول: "قال لى معاوية بن أبي عمرو بن العلاء: أي البيتين عندك أوجود؟ قول جريء:

أَلْسَنُ خَيْرُ مِن رَكْبِ الْمَطَايَا وأُنَّدَى الْعَالِمِينَ بِطُّـٰـٰـٰٰٰ رَاح

أم قول الأخطل:

شَمْسُ الْعَدَاوَةِ إِلَى يُسْتَنْصَدُّ لَهُمْ وأَعْظَمَ الْنَّاسِ أَحْلَامًا إِذَا قُدِّرْوا فُقْلَتُ بَيْتُ جِرِيرِ أَحْلَى وَأَسْتَنْ، وَبَيْتُ الْأَخْطَلِ أَجْزَلُ وَأَرْزَن"، هكذا نجد يصف بيت بيت جرير بأنه أحلى، "ولا ندرى معايير هذا الوصف، أو متى يكون الشعر حلواً؟".
ومثله وصف عبد بن الحسن، بأنه "حلو الشعر، رقيق حواشي الكلام"، وكذلك وصف الطائي بأنه "رقيق الحواشي". حلو الشعر. حيث لا نستطيع أن نحدد معايير رقة الحواشي ولا ماهيتها. ومع ذلك فإننا لا نستطيع وجود بعض المعايير المحددة الدلالات؛ مثل جزء اللفظ؛ وشرف المعنى وفخامته.

والعرض الشرعي وسبل معالجته واستقصائه من الأمور التي أخذها ابن سلام في حسابه وهو يصنف الشعراء ويجمل على شعرهم بالجودة، من ذلك — مثله — قوله في المديح في شعر كثير: "ورأيت ابن أبي حفيصة يعجبه مذهبه في المديح جداً، يقول:

كان يستقصى المديح.

ومثله براعة التشبيه الذي نراه أحياناً أساساً للمفاضلة بين الشعراء، من ذلك مثله:

قوله: "كان أمرو القيس أحسن أهل طبقته تشبيههم، وأحسن الإسلاميين تشبيهاً ذو الرمية.

بقي أن نقول اعتماد ابن سلام إلى جانب مقاييسه الثلاثة التي بنى عليها طبقاته مقاييس أخرى بالغة الأثر في بناء بعض طبقاته، منها:

— البيئة: المكان وأثره في الشعر والشعراء هو أحد المقاييس التي راعاه ابن سلام في أثناء تصنيف طبقاته، حيث نجد يخص شعراء القرى العربية بطبيعة مستقلة، ثم يفضل بين تلك القرى وأثرها في غزارة الإنتاج فيقول: "وي هي خمس: المدينة، ومكة، والطائف، واليافا، والبحرين، وأشعارهم قرية المدينة"، وفي موضع آخر نجد يتحدث عن أثر المكان في تشكيل سمات الشعر، خاصة اللغوية، حيث يقول في سجح بن وثيل الراحي: "وكان الغالب عليه البذاة والخشن"، فخشونة شعر وثيل مردها البداية، أما عدى بن زيد فقد اختلفت سمات شعره باختلاف بيئته، حيث "كان يسكن الحيرة ويراكين الرَّيْف، فلان لسانه وسُهيل مَنْطُقه". 

---

1- نفسه، ص: 187
2- نفسه، جزء 2، ص: 535
3- نفسه، جزء 2، ص: 540-642
4- نفسه، جزء 1، ص: 55
5- المرجع السابق، ص: 25
6- نفسه، جزء 2، ص: 575-577
الفصل الثاني

المعقدة: استند ابن سلام إلى العقيدة الدينية حين أفرد لشعراء اليهود طبقة مستقلة. اشتملت على ثمانية منهم. ويلاحظ أنه لم يحدد مكانة أئمتهم، سواء منزلته بين شعراء طبقة، أو منزلة طبقة بينطبقات، كذلك لم يتعرض إلى أثر العقيدة الدينية في شعرهم ومعانيهم.

الأخلاق: كذلك اتضاح أثر المعبر الأخلاقي في حديث ابن سلام عن سمات شعر بعض فصول الجاهلية كأمير القيس والأعشى، حيث يقول: "فكان من الشعراء من يتألق في جاهلته ويتخفف في شعره، ولا يسبئير بالفواحش، ولا يتهكم في الهجاج ومنهم من كان يتعزى على نفسه ويتعذر. منهم امرؤ القيس ... ومنهم الأعشى".1 وكذلك في موازانته بين الفردوق وجرير، حيث يقرن الفردوق بامرؤ القيس والأعشى ويثير جريراً عنهم فقوله: "وكان جرير مع إفراطه في الهجاج يعف عن ذكر النساء، كان لا يشتبه إلا بارمأة يملكها".2

التبليغ: وضع ابن سلام هذا المقياس في حسابه وهو يشرع في تصنيف طباقته فقال في مقدمة كتابه: "فألقنا من تشابة شعره منهم إلى نظرائه، فوجدناهم عشر طبقات أربعة رهط كل طبقة، متكافئين متكافئين"، وقد لاحظنا أثر هذا المعيار في معظم طبقاته إضافة إلى ما تجلّى في موازانته بين بعض شعراء الغرض الواحد من طبقات مختلفة من ذلك ما يلاحظ في موازانته بين جميل بن مَعَرَر وكثير عزة في من النسب، وبين جرير والفرزدق في من النقوص وغيرهم، ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل رأينا يفرد طبقة لمن برزوا في غرض واحد من أغراض الشعر، وهي طبقة أصحاب المراثى. وهنا نلاحظ اكتفاء ابن سلام بذكر بعض شعراء المراثى ونسهم وبعض أخبارهم ونقاً من أشعارهم، مع أن الاتفاق في الغرض كان يتطلب من ابن سلام الموازنة بين معانيهم وخصائص شعرهم، ثم المفاصلة بينهم. ومن قبيل التشابة أيضاً، ما نراه في تخصص الطبقة التاسعة من طبقات فصول الإسلام للحديث عن أربعة من الرجائز. وقد حاول ابن سلام الموازنة بين شعراء هذه الطبقة، فأورد بعض

---
1. نسخه، ص: 41-42
2. نسخه، ص: 46
3. المرجع السابق، ص: 24
ALARAA ALAMMAAN FII MAWAZANA BIIN BUSH SHMAT RAZZHEM, FAQL: "QAL ABUUMROO BIIN ALMAAN

1. KAN ABUUL NUGHM ABLG FII ALATT MIN ALJAGJAG."  

- AL NABSH: QD LA KOWN LSHL AL FERIBBI KIBAR TATAFAR FII ALJAMBI BIIN ROOBA WALALJAGJAG, WALENAH

WAAAMAHAT TATAFAR FI 3ADIB ABUL SALAM AL SHARAA 6ATREF AL SHARAA AL IDABA MA FOUHOL JAHALIHIN

3 BAAS SHAER AKBH BIJBIR, WAUSTADAA LA MQVIAS ALTASHAHEE NGEH YQORN DZHERRY WIDRITYE BENDJKE ZHEEREE, FAKOL: "WALM YSELM FI WLD ZHEEREE SHAER. WALM TINSEL FII WLD AHD MA

FOUHOL JAHALILEE MA ATSEL FII WLD ZHEEREE, WALA FII WLD AHD MA ALMMLEE MA ATSEL FII

WLD GREE."  

2. QAL AL NUGHM ABLG FII ALATT MIN ALJAGJAG:"  

3. WOK2L AL ESHARATEE AL HATTEE TISHAIRYEE FEE ALMJURY AL AFXAN AL DZEE, WALENAH MA AL NUTZEE "WALM YSELM FII WLD AL SHARAA, WALA YIBSTEEF AL SHARAA ELE AL AML."  

DAFAL AL AHMIYYAT WAJIBIN WAJIBIN FII ALALJAGJAG AL NALGEDAAN,

1. AL NALGEDAA AN ALKAR YENDAA AL AMMATEEN AL SHARAN, WASOCAME AL HAJEEH ULEMIN FEE ALAKHAN, "WALM YTAURRUM FII WLD AL SHARAA, WAVA 7761-7609."  

2. AL NALGEDAA AN ALKAR YENDAA AL AMMATEEN AL SHARAN, "WALM YTAURRUM FII WLD AL SHARAA, WAVA 7761-7609."  

3. AL NALGEDAA AN ALKAR YENDAA AL AMMATEEN AL SHARAN, "WALM YTAURRUM FII WLD AL SHARAA, WAVA 7761-7609."  

57
بطول المران والممارسة العملية، والتي يستند إليها الناقد المتمرس في تمييز مستويات الجودة التي لا تخضع لضابط فين دقيق يعين على شرح أسبابها، من ذلك ما نراه في أمثلة ابن سلام التي نورد منها قوله: وكذلك بصر الرقيق، فتعصف الجارية فيقال: ناصعة اللون جيدة الشطيب، نقية الثغر، حسنة العين والأنف، جيدة النهود، نظيفة اللسان، واردة الشعر فتكون في هذه الصفة بمنة دينار وبمنتي دينار، وتكون أخرى بأنف دينار وأكثر، ولا يد واصفها مزيداً على هذه الصفة. يقال للرجل والمرأة في القراءة والغناء: إنه لندى الحلقة طل الصوت، طويل النفس،麝يب للحن، ويوصف الآخر بهذه الصفة، وبينهما بون بعيد، يعرف ذلك العلماء عند المعانة والاستماع له، بلا صفة ينتهى إليها، ولا علم يوقف عليه وإن كثرة المدارسة تُعَدّ على العلم به فذلك الشعر يعلمه أهل العلم به.

إن حديث ابن سلام السابق عن أهمية الذوق في إتمام العملية النقدية والوصول بها إلى منتهاها لا يحبج أهمية الثقافة التي ينبغي أن يتسلح بها الناقد، كما أنه لا يعفي من التأكد على أهمية التجربة والممارسة. وإن عدم توسع ابن سلام في الحديث عن صنوف الثقافة التي يحتاج إليها الناقد إنما مرده علم ذو الاختصاص بتلك الصنوف "للشعر صناعة وثقافة يعرفها أهل العلم .."، وكذلك الحال بالنسبة للتجربة والممارسة.

وهكذا فإن الذوق الذي يتمثل عند ابن سلام – كما رأينا في الأمثلة السابقة – في المقدرة الفائقة على ممارسة العملية النقدية والتمييز بين أدق الخصائص الفنية، إنما يقوم على ثقافة خاصة، واستعداد فطري،وينمو وينتزع بكرهية المران والممارسة التي هي في المحصلة النهائية إضافة نوعية لرصد الناقد الثقافي، وتزمنية عملية لمهارته النقدية.

رابعاً: قضايا أخرى:

أثار ابن سلام العديد من القضايا الهامة التي تتصل باللغة العربية ولهجاتها وال نحو العربي ونشأته وتطور مبادئه، وكذلك الشعر العربي وأهميته وحالة تطوره؛ وأثر الإسلام فيه، وأول من اهتم بجمعه وتدوينه، وترقى لعلم العروض فذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي وسبقه في وضع العروض وتفوقه في استنباط عملية، فهو في مجال اللغة وال نحو العربي أول من أرخ لنشأة النحو حيث تحدث عن البصرة وسبيطها في هذا المجال.
الفصل الثاني

الجانب التطبيقي

؛ وذكر مبررات نشأة النحو والحاجة إليه، وتتبع تطور مبادئه وجهود علماء العربية

فقال: وكان لأهل البصرة في العربية فنّوناً، وبالنحو ولغات العرب والغريب عناية. وكان

أول من أسس العربية، وفتح بابها، وأنهّج سبيلها ووضع قياسها: أبو الأسود الدؤلّي

فكان سراًًة الناس يحتّون، ووجوه الناس، فوضع باب الفاعل والمفعول به، والضاف

ورحوف الرفع والنصب والجر والجزم. وكان ممن أخذ عنه بلى بن يعمر. 1 وفي

أثناء تمثيله لبعض الأخطاء التي وقع فيها سراًة القوم وفهم الأدباء والشعراء، حرص ابن

سلم على تبادل مجهودات علماء العربية والإشارة إلى ما يميز كل منهم بمثال قوله: "ثم

كان من بعدهم عبد الله بن أبي إسحاق الحضري، وكان أول من بعج النحو، ومدّ

القياس والعقل. وكان معه أبو عمرو بن العلاء، وبقي بعده بقاء طويلًا. وكان ابن أبي

إسحاق أشد تجريدًّا للقياس، وكان أبو عمرو أصغر علمًا بكلم العرب ولغاتها

وغربيها. 2 أما في مجال الشعر فقد تحدث ابن سلم عن نشأة الشعر العربي وكيف بدأ

أبابيات يقولها الرجل في حاجته؛ وكيف تطور شكل القصيدة في عصر عبد المطلب

وهاشم بن عبد مناف؛ حيث قصدت القصائد وطوّل الشعر، ثم يرى ابن سلم أن "أول

من قصد القصائد وذكر الوقائع، المهمل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل -

قتله بنو شيبان – وكان اسم المهمل غديًا، وإنما سمى مهملًا لهيلة شعره كهللة

الثوب، وهو اضطرابه واختلافه. ومن ذلك قول النابغة: "أناك يقول هليل النسيج كاذب

ولم يأت بالحق الذي هو ناصع. 3

ورغم مواقف الكثير من المتقدمين لرأى ابن سلم هذا؛ إلا أننا لا ننكر وجاهة رأى محمود

شاكر محقق كتاب الطبقات، الذي يقول: "هكذا يرى ابن سلم وغيره من المتقدمين.

وهو عندي باطل، فالشعر أقدم مما يزعم، وطوله أعتق مما يتوهم. ولبيه قال هنا ما

قاله منذ قليل في سبب ذهاب شعر غبيب وطرفة، أن قدمهما كان السبب في قلة ما روي

عنهما. فإذا صح ذلك، فمن كان قبلهما أجر أن يذهب من كلامه أكثر مما ذهب من

كلامهما 4، حيث نجد من القدماء من يزعم أن الأقوه الأولى هو أول من قصد القصيدة

1. المراجع السابق، ص: 12-13
2. نفسه، ص: 14
3. المراجع السابق، ص: 39
4. نفسه، ص: 26
فذكر أن بدايته كانت في ربيعة ثم تحول إلى قيس ثم إلى تميم ولم يزل فيهم.
أما وعيه بآثار البيئة على الشعر والشعراء فجعله يصرح بأن البيئات ليست سواه في
إنتاج الشعر، وأن سهولة شعر عدي بن زيد ترجع لاستقراره في بيئات ريفية كما أن
خشونة شعر سُحِيم بن وثلث الرياحى مرفعها سكتاه البادية.
أما الظروف الاجتماعية والسياسية فلها دور بارز في إنتاج الشعر، إذ يرى ابن سلام أن
الشعر يكثر في الحروب؛ ويدل على ذلك بحرب الأوس والخزرج وكثرة ما قبل فيها من
شعر، أما قريش فإن سبب قلة شعرها " أن له لم يكن بينهم ثارة، ولم يحاربوا. وذلك
الذي قيل شعر عمان وأهل الطائف".

في ميزان النقد:

يعتبر كتاب ابن سلام البداية الحقيقية للنقد الأدبي المنظم عند العرب، وقد تصدى صاحبه
لشريحة كبيرة من الشعراء مائة وأربعة عشر شاعراً، هي شريحة الفحول. لذلك فإنه من
البدء أن يقع من يتصدى لمثل هذا العمل الجليل في الكثير من الأخطاء وأن يسجّل عليه
العديد من المآخذ.

أما الأخطاء التي وقع فيها ابن سلام فنحصر معظمها في ترتيب الطبقات، من ذلك
مثالاً: " أنه وضع بشامة بن الغدير المرّي في الطبقة الثامنة من طبقات الإسلاميين.1 مع
أنه جاهل. ومع ذلك فقد نجد فيما سبق ذكره عن القربي ومراعاته أحياناً في التأليف بين
شعراء الطبقات ما بين سبب وقوعه في هذا الخطأ. حيث ذكره مقررًا بثلاثة شعراء
إسلاميين من بني مرة، وهنا لابد من القول أن ابن سلام لا يجهل حقيقة أن بشامة جاهلي
يؤكد ذلك ما أورد من قصة توزيع تركته وكيف جعل الشعر من نصيب ابن أخيه زهير
بن أبي سلمى.

وقد ذكر المرحوم طه إبراهيم خطأ ابن سلام في تصنيف بشامة بن الغدير مقررًا
بذكر أبي زبيد الطائي فقال: " ونسنا نرئ كيف جاء بشامة بن الغدير وأبو زبيد الطائي

1 المراجع السابق، ص: 7-9.
في طبقات الإسلاميين، مع أنهم جاهليون. والصواب أن أبا زبيد شاعر مخضرم استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على صدقات قومه.

ومن ذلك أيضًا أنه جعل مخضرمي الجاهلية والإسلام ككعبة والحيطنة والتابعة الجعدى وليبيد والكنابيت بن مخزومي الأسد، وسُمِّي عبد بني الحسَن .. في طبقات الجاهليين دون أن يقدم سببًا واحدًا يبرر فيه عمله هذا ؛ خاصة أنه لم ينس للحظة أنهم من المخضرمين — من ذلك — مثالًا قوله في ترجمة النابغة الجعدى: "وكان النابغة قديماً شاعراً متفقاً، طويل البقاء في الجاهلية والإسلام .." وقوله عن سُمِّي عبد بني الحسَن "وأنتد عمر بن الخطاب قوله:

"عُمْرَةً ودُعَاءً، إن تَجَهَّرَتْ غَدِينًا كَفَى الشَّيْبُ والاسْلَامُ لِلْمَرْءِ نَاهِيًّا."

ولو افترضنا أنه يراعي في تصنيفهم العصر الذي كثير فيه شعرهم أو جاد كما رأينا في تقديمه للنابغة الجعدى أنه كان شاعراً متفقاً ؛ لكان من المحم على أن يضع بعضهم في طبقات شعراء الإسلام ككعب مثلًا ...

ولكنى أرى أنه لم يخطط لذلك ولم يستند في عمله هذا إلى أسس نقدية، وإلا فلمذا وضع مجموعة من هؤلاء المخضرمين مع شعراء القرن العربي ؟ كحسن بن ثابت وعبد الله بن رواحة وغيرهم، ولماذا أخرج شعراء القرن العربي وشعراء المراثي من طبقات شعراء العصرين: الجاهلي والإسلامي، ولماذا لم يقررهم بنظرائهم في الطبقتين ؟ ولم ينزلهم منازلهم من شعراء العصرين ؟

قد يكون له بعض الاعتر في جعل شعراء المراثي في طبقة مستقلة لما لهذا اللون من الشعر من تميز في الخصائص، خاصة إذا أخذنا في الحساب غلبة العاطفة وقوتها وما لها من خصوصية وتميز. أما في إفراد طبقة لشعراء القرن العربي فاعتقد أن الصواب لم يحال بن سلام مرتين، مرة حينما خصها بهذه الطبقة المستقلة دون مبرر، والثانية حينما ذكر اليمامة مع القرى العربية - مكة والمدينة والطائف والبحرين - خاصة أنه لم

---
1. تاريخ النقد الأدبي عند العرب، من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، د. أحمد إبراهيم (د.allah)، الدار الإصدارية للكتاب، 1425هـ/2004ص.88.
2. طبقات في نجوم الشعراء، محمد بن سهل المحمدي، جزء 1، ص. 123.
3. المرجع السابق ص.187.
4. نفسه، ص.215-228.
يجد شيئاً يذكره عن شعراء اليمامة وشعرهم، حيث اكتفى بالقول: "ولا أعرف باليمامة شاعراً مذكوراً.1

ومما يؤخذ عليه أيضاً أنه لم يكن منصفاً حينما جعل كبار الرجاز - الأغلب العجلي - وأبا النجم الفضل بن قداممة العجلي، والعجاش، ورؤبة بن العجاش - في الطبقة التاسعة من الشعراء الإسلاميين، وأرى أن ابن سلام يكشف في هذا التصنيف عن موقفه من الرجاز والراجان ويدل بطريقة تطبيقية على صحة ما ذهب إليه أهل عصره الذين جعلوا الرجاز في منزلة أدنى من منزلة بقى البحور الشعر العربي، وكان من الأجدبر به أن يفرد للراجان طبقة كنتي أفردها لشعراء المراثى، لما لهذه الطبقة من تفرد وتميز في السمات والخصائص.

ومما أخطأ فيه ابن سلام أنه جعل كل طبقة أربعة شعراء دون أن يقدم ما يقنع من المبкрасات التي تجعلنا نوافقه على أنهم أربعة لا أقل ولا أكثر، وقد أدرك ابن سلام خطأ هذا حين اضطر إلى تأخير منزلة بعض الشعراء من طبقة إلى أخرى أدنى منها ليس شئ إلا لأن عدد شعراء الطبقة أكمل الأربعة، من ذلك - مثلاً - إقراره بأن أوس بن حجر يستحق أن يكون في الطبقة الأولى من طبقات الشعراء الجاهل، لأنه يتوافق وشرطه الوحيد في بدء كل طبقة، ذلك الشرط الذي وضعه في مقدمة طبقاته حين قال: "أربعة رهط كل طبقة، متكافئين متكافئين"2 فاستدعت موضوعية الاعتراف بهذا الخلل حين وضع أوساً في الطبقة الثانية حيث قال: "وأوس نظر الأربعة المتقدمين، إلا أننا اقتصرنا في الطبقات على أربعة رهط.3

وهنا يمكننا القول إنه كانحرى ابن سلام أن يجعل كتابه ثلاثة أقسام: قسم طبقات شعراء الجاهل، والثاني لطبقات الشعراء المخضرمين، والثالث لطبقات شعراء الإسلام، وأن يجعل طبقاته في كل قسم ثلاث، الطبقة الأولى للمبرزين، والثانية للمتوسطين، والثالثة للمتأخرة، ولو فعل ذلك لما اضطر إلى سرد أسماء الشعراء في نهاية طبقاته دون شاهد أودليل.4 أما المأخوذ التي يمكن تسجيلها على طبقات ابن سلام فإن أول ما نذكره

---

1 نفسي ص: 277
2 المرجع سابقاً ص: 24
3 نفسي ص: 77
4 تاريخ اللغة العربية عن العرب - من العصر الجاهلي إلى القرن الرابع الهجري، ي. أ. إبراهيم، ص: 109
منها ملاحظة المرحوم طه إبراهيم الذي يرى طغيان عقلية ابن سلام العلمية على ملكته الأدبية في تحليل النصوص الشعرية، إذ يقول: "وإذا كان ابن سلام بارعاً في البراعة في تناول المسائل الأدبية من جميع أطرافها، فإن ملكته الأدبية في تحليل الشعر وتذوقه لا تكاد تظهر فيما كتب؛ ملكته الأدبية أضعف بكثير من ملكته العلمية." 1

ورغم ما تتفوّى عليه هذه المقالة من صحة إلا أننا لا نغفل أهمية قول طه إبراهيم "ولكننا لا نجد في تذوق الأدب خطوة عن الذين عاصروه أو سبقه" فهو يومي بوضوحية وإنصاف إلى أن ما سبق أن لاحظه لا يغض من قيمة عمل ابن سلام الذي لم يكن بدأ بين معاصره، فهو رغم ما يتوقع منه من تقوف على معاصره في تحليل النصوص إلا أنه لم يعزم على طبيعة عصره وعن نقوس معاصره التي طبعت غالباً بطبع التعليم.

أما قول طه إبراهيم في التدليل على عمومية أحكام ابن سلام وعدم دقتها: "بل لقد نرى له أجايحاً كلاماً عاماً لا يوجد ذوقاً خاصاً، ولا يشعر بهم النصوص على النحو المتقنع، وقلما نظر بهما دقيقاً حين نستتبع أراء ابن سلام فيما يتصور بالشعر، فأبو ذُوب الهذلي شاعر فحل لا غمزة فيه ولا وつ، وعند بنى الحساس حلو الشعر، رقيق حواشي الكلام. والبعثيد فاخر الكلام حر اللظف، ما هي حلاوة الكلام؟ ما رقة الحواري؟ والغزيرة والوهن في الشعر؟ كل أولئك على شيء من الغموض مهما أمنا بصعوبة التحديد في الفنون." فهو قول قد يتصف بالموضوعية إذا حاولنا فهمه بمنأى عن عصر ابن سلام ومصطلحاته النقدية، أما إذا أرجعنا إلى عصر ابن سلام وما اشتهر فيه من المصطلحات النقدية، فهو بالضرورة يعد في رصيد ابن سلام الذي "جمع ما عرف العلماء والنقاد من مصطلحات نقدية كثير تداولها بينهم"، وفي رأى أن عدم وضوح دلاية المصطلح لا تعد مسؤولية ابن سلام الذي خاطب أهل زمانه بمصطلحات أظنهم لا يجهلون دلالتها، بل كأنى بهم قد تفهموا معنى رقة الحواري ومتى يكون اللظ والكلام فاخراً واصطحبا على ماهية حلاوة الكلام ومتى تكون في الشعر غمزة أو يتصف بالوهن.

1. نسخه، ص: 109
2. نسخه، ص: 109
3. المراجع السابقة، ص: 109
نعم قد تكون هذه المصطلحات غير واضحة الدلالة بالنسبة لنا في العصر الحاضر ولكنها كانت معلومة الدلالة في عصر ابن سلام.

وأما أخذ على ابن سلام أنه انفرد من بين العلماء بإضافة الراعي التميري إلى الثلاثة الإسلاميةين، جرير والفرزق والأخطل، وعده في طبقتهم، وسبب ذلك كما يقول المرحوم طه إبراهيم أن ابن سلام "لم يستند إلى حجة، ولم يقم دليلاً، ولم يذكر في كلامه على الراعي شيئًا يسوغ هذا التزديم".

وقد سبقت الإشارة إلى اعتداد ابن سلام بالسبق والابداع في تصنيف شعراء طبقاته وقد رأيناهم يبرر تقديم امرئ القيس على غيره من الشعراء بأنه سبق العرب إلى شيء ابتدعها. وقد برر تقديم الراعي التميري وجعله مع شعراء الطبقة الأولى من طبقات الإسلام بقوله: "كانه يُعتني الفلاة بغير دليل! أو أنه لا يحتاج شعر شاعر ولا يعارضه". فهو إذن مقدم لأنه مبدع، وهذا إن كانت جرأة من ابن سلام ومختلفة لما أجمع عليه العلماء، فهي جرأة محمودة تحسب له وتدفع عنه بعض ما أخذ عليه من الإتباع في إصدار الأحكام.

كذلك أخذ على ابن سلام أنه "لم يتصد لذكر الشعراء الذين عاصروه كمروان بن أبي حفصا، وأبي نواس، ويارش، ومسلم بن الوليد، وأبي تمام، ولم يحاول أن يقسمهم طبقات كما فعل بالجاهلية والإسلاميين، ولا أن يصرح برأيه في واحد منهم". وقد حاول بدوى طبانه تبترير هذا الأمر بأن ابن سلام كان "يستعين في تأليفه ويستظهر على آرائه بأراء العلماء الذين يثق بهم، ويعتمد على آرائهم في شعراء قد قضاوا نحبهم"، وأصبح تراهم الشعرى ملكاً للعلماء والنقاد يقولون فيه ما شاءوا، أما الشعراء الذين عاصرهم ابن سلام فلم تكن الأقوال قد تبهرت بعد بحيث يعتمد عليها. ولعل أولئك العلماء كانوا يخشون مما قد يналهم من أولئك الشعراء من الهوجة المفتوحة إذا عرضوا لشعرهم بالنقد والتحليل والإشارة إلى مواطن الضعف فيه، فضمن بأعراضهم أن يمتهنها الشعراء.م

وفي ظن أن هذا التبترير قد يفقد جدواه إذا عرفنا أن ابن سلام أهمل بعض فحول الشعراء

---

1. نفسه، ص: 109
2. المرجع السابق، ص: 109
الفصل الثاني

الإسلاميين — أيضاً — كعمر بن أبي ربيعة، والطرماح بن حكيم، وغيرهم ممن تنبورت أقوال العلماء فيهم قبل أن يصنف ابن سلام كتابه، وماتوا فلا يخشى هجاهم.

وأمّد ... فقد أجمع الدارسون من قبل على أهمية كتاب ابن سلام وعلى تقدمته في خدمة النقد الأدبي وتوثيق أصوله. ولا أرى أن من أنكر أهمية الجهد الذي بذله ابن سلام أو اجتهاد في التقليل من شأن بعض مباحث الكتاب قد أصدر حكمه في ضوء عصر ابن سلام.

فابن سلام بالقياس على معاصرته: "من أجلة النقد صحة ذهن ونفعاً بصر بوا سبب من القول، وأوضح من الدلائل وبيّن من العلل، فقد وصل ما أصلته الأدباء واللغويون وتناوله تناولاً حسناً، وزاد عليه زيادات قيمة.. ثم إن الأصول التي عرفت قبله في النقد لم تتوّد، ولم تؤكد، ولم تستقر وترسخ إلا في كتاب طبقات الشعراء هذا إلى أن الكتاب أقدم وثائق النقد المدونة " .

المعايير النقدية في كتاب طبقات فحول الشعراء (أسس المفاضلة)

تتبع المعايير النقدية في كتاب طبقات فحول الشعراء من حيث اطاراتها العام من معايير أساسيين هما الفحولة والتشابه، أما الفحولة فهي الأساس الأول الذي أقام ابن سلام عليه تمييز الشعراء، وتصنيفهم في طبقات، ويخلط احساس عباس أن ابن سلام وتسع من حدود فكرة الأصمعي، وأعاد صياغتها، فقد الأصمعي يقسم الشعراء إلى فحول و غير فحول فجاء ابن سلام واقرب في اند فحول إلى أن هذه الأخيرة تتفاوت، وان التشابه فهو الأساس العام الثاني الذي اعتمده ابن سلام في تصنيف الشعراء، و هذا الأساس اعتمده في كل طبقة على حدة، غير أنه لم يوضح معايير التشابه توضيحًا صريحاً، إلا في بعض الطبقات، وأل أبرز تلك المعايير، و المقابلات التي أقام على أساسها اختيار الشعراء و المفاضلة بينهم هي كالتالي: 

- الجودة 
- الكثرة 
- تعد الأغراض و القدرة على التصرف في فنون الشعر 
- الجزالة
الفصل الثاني

- سيرورة الشعر
- طول القصائد
- الفريحة
- الاحتجاج بآراء العلماء

و لعل المعايير الأولى الثلاثة هي التي ركز عليها ابن سلام في المفاضلة بين الشعراء و تقسيمهم إلى طبقات ألا أنها أراد تسيليض الضوء على معيار الجودة لأنه يعتبر موضوع بحثي هذا

1- الكثرة الجودة:

يعتبر ابن سلام الجودة من أهم المعايير النقدية في كتاب الطبقات، إذ جعل المعيار الأول لتقديم شاعر، وتقضيفه، فقد جعل الجودة أساسا لتقديم الشاعر و تقضيفه، فقد جعل الجودة أساسا لتقديم الشاعر على غيره في طبيعته، أو إيراده ضمن الشعراء، أو إهماله فابن سلام لا بورد (المهلهل) في طبيعته على الرغم من أنه ود سبق الشعراء الفحول إلى تقصيد القصائد، و ذكر الوقائع، حيث يقول عنه: وكان أول من قصد القصائد و ذكر الوقائع المهلهل بن ربيعة التغلبي في قتل أخيه كليب وائل قتله بنو شبيان، وكان اسم المهلهل عديا، وإنما سمي المهلهل لهلهلة شعره كهللة الثوب، و اضطرابه و اختلافه."1

ومن هنا نرى اهتمام ابن سلام بجودة الشاعر لكي يورد صاحبه في الكتاب ضمن الطبقات الفاصلة فهو يتبع أن المهلهل شاعرا وهو متقدم، وقد سبق الشعراء إلى تقصيد القصائد، إلا أن اضطراب شعره و اختلافه كان سببا لإهماله، فلو كان ابن سلام يورد كل شاعر من الفحول المتقدمين لأنه شاعر فقط لأورد المهلهل، و لاكن اختلاض الشعراء لمقياس واضحه جعلته يهمه.

و كان ابن سلام دقيقا في ذكر الأمثلة و التنبية إلى قيمة الجودة للشاعر حتى يكون ذلك الشعر الجيد في مرتبتة لا يصل إليها شعر مفتعل منحول ملفح بغير صاحبه فهأتمام ابن سلام بمعيار الجودة وتقديمه على جميع المقاييس جعل له اثرا واضحًا في تقضيل أو تقدير أو التأخير من الطبقات. ومن الشعراء داخل الطبقات الواحدة بمقياس الجودة هو الذي قدم

١- طبقات الشعراء، محمد بن سلام الجمعي، جزء: ١، ص: 39
"علقمة الفحل" إلى الطبقة الرابعة "فله ثلاث روائع جياد لولاهم لتأخر عن هذه الطبقة، إذ ليس له جياد غيرها، ولا تقدم إلى طبقة أفضل. هذه القصائد لا شيء بعده يذكر" 1 وهو المقياس الذي جعله يضع عبيد بن الأبرش في الطبقة الرابعة، مع أنه لا يعرف له من الشعر إلا واحدة ومن هذا يتضح أن ابن سلام يعلم الجودة المقياس الأول المقدم لديه وإن ربطها بالكثرة فهو كثيراً ما يجمع بين الكثرة والجودة ولا يفصل بينهما، ما يدل على أنه لا يردي كثرة فقط، وإنما كثرة جيدة و رد هذا المعيار معبر عن ابن سلام. فالاعشي مقدم عند أصحابه "لأنه أكثرهم طويلة جيدة" 2. فهو يجمع بين الكثرة وطول القصائد وجودته يقول ابن سلام عن شعراً الطبقة الرابعة من الجاهلين، "وهما أربعة رهط فحول شعراء موضوعهم مع الأوائل وإنما أخل بهم قلة شعرهم بأيدي الرواة" 3. فقلة الشعر أدت دوراً كبيراً في تأخير هذه الطبقة على الرغم من اعتراف ابن سلام أن موضوعهم مع الأوائل، يقول عن طرقة: "فأمأ طرفة فاشهر الناس واحدة" 4 ثم يقول: من بعد له قصائد حسان جياد فهو يشير إلى الكيم والجودة، فابن سلام يفضل الجيد الكثير على الجيد القليل، وهذا لا يطبع في منهجه، ولا يجعل التفضيل قائماً على التفضيل، بينما قدمت الجودة شعراء في جودة قساдаватьهم على الرغم من قلتهم يقول الرابعة عمر بن شأس كثير الشعر في الجاهلية أكثر أهل طبته شعراء وكان ذا قدرًا وشرفاً ومنزلة في قومه 5. ومع ذلك قدم عليه الشعراء من طبته مع أنه كان أكثرهم شعراء وجعلهم رابعهم. وهذا باختصار عن المعيار الذي اعترف ابن سلام في تصنيف الشعراء إلى طبقات وحكم على أشعارهم بجودة أو الرديء فمعيار الجودة هو من أبرز المعايير المقياسية، بالإضافة إلى معيار الكثرة والتعدد الأغراض الشعرية.

الجودة و تجلياتها في كتاب طبقات فحول الشعراء

مظهر الجودة عند الشعراء الجاهلين

1 - الجودة في شعر امرئ أليس

---
1- نفسه، ص: 139
2- المرجع السابق، ص: 65
3- نفسه ، ص: 137
4- نفسه، ص: 138
5- نفسه، ص: 196
جعل أبي سلام "مرأة ألفيس" أول الطبقة الأولى وبين الجيد من شعره وبالرغم من أن الناس أجمعوا على تقديمه إلا أن أبي سلام لا يترك هذا التقديم دون تعليل، فيجعل الجودة هي السبب في تقديمه يقول عنه "سبق العرب إلى أشياء ابتدعها واستحسنها العرب" 1 ومعروف لدينا أن الاستحسان قائم على الجودة ويقول عنه "و أجاد في التشبه" 2 وكان أحسن أهل طبقة تشبهها 3 ويورد ما استحسنه الناس له من التشبه:

كأن قال:

"كأن قلوب الطيور رطبة ويايسا، يذكرها والحشف البالي 3 "

عدد هذا البيت من تشبهات امرأة ألفيس في وصف عقاب إذ شبه شيئين في بيت واحد فكان أول شاعر يفعل ذلك وقوله: "كأنى بفتحة الجناحين بقوّة دفوف من العقبان طاطس شملال بعجلزة قد اتزر الجري لحمها كمـ كـةـ كـةـ هـــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــــ~

1 - طبقات فصول الشعراء محمد بن سلام الجمعي، جزء: 1 ص:86
2 - نفسه ص:81
3 - المرجع السابق، ص:81
4 - نفسه ص:81-82
5 - نفسه ص:84
أربعة تشبيهات في هذا البيت ومن أوجد التشبيهات التي أهلته ليكون في المطاقة الأول
قوله:

تتابع كفية بخبط موصل
كما زلت الصفراء بالتقول
عصارة حناه يشيب مرحل
علي أنواع الهوم ليتلسي

بأمراس فنان إلى صمم جندل

فهده الأبيات من جيد التشبيه عند أمرئ أليفس أورد غيرها كثيرا ثم يجعل الجودة أساس المضارع بين شعراء امرئ أليفس وغيره ومن جديد تشبيهات امرئ أليفس تصويره للمرأة

فيا لك من ليل كان نجومه

هذه الأبيات من جديد التشبيه عند أمرئ أليفس أورد غيرها كثيرا ثم يجعل الجودة أساس المضارع بين شعراء امرئ أليفس وغيره ومن جديد تشبيهات امرئ أليفس تصويره للمرأة

نظرت إليها والنجوم كأنها مصابيح ريبان تشب القفال

وقوله كذلك:

كان أصوار إذ تجاهمون غودة
على جمري، خمل تجول بأحلال

وعليه فإن ابن سلام كان يرى في امرئ أليفس، أنه أحسن أهل طبقته تشبيها ثم يورد لنا

نماذج عديدة لكل التشبيهات دون تحليل أو تعليل

بدي مياة، كان آدنى ساقته
وتقربه، هونا، دليل تعلم

عظيم، طويل، مظلم، كانه بجامه
باسفل ذي موالان، سرحه مرقب

له جوزج حشر، كان بجامه
يعتلي بيه في رأس جذع مشذب

ومن هنا نقول أن امرئ أليفس استطاع من خلال جودة شعره أن يحتل أولى الطرقكاتب لما برع فيه من جودة في الوصف والتشبيه، فقد فتح لدى الشعراء من بعده أبواب المعاني

حتى يدخلوا من وصف الخيل، فقد اقتبسوا معانيه.

2 - الجودة في شعر النابغة الذبياني:
لقد اعتمد ابن علي على معيار ابن فني بارزين في تفضيل النابغة الذبياني وهي جودة الديباجة وكثرة الماء والرونق وتعد جودة الديباجة وكثرة الماء والرونق، أحد المعايير الفنية التي أهل النابغة لأن يتبّوّا هذه المكانة ضمن شعراء الطبقة الأولى الجاهلية، وهذا لاتصال شعره بالحسن والزينة، بلحظة ملتقي الشعر، إذ يولد في نفسه حال من النشوة كشبه حال من لمس الديباج أو يمعن النظر إليه.

الأمر نفسه في الشعر كثير الماء والرَّونق، فإنه يبعث في النفس إحساساً يشبه إحساس من يبصر رونق السيف ونظارقة الشبات وإشراقه وعلى هذا الأساس قدم بعضهم النابغة، يقول أبي سلمان" وقال من احتج للنابغة كانوا أحسنهم دباجة وأكثرهم رونق كلام...

"أنا جودة الديباجة وكثرة الماء والرَّونق، تعنيان الحسن والطلاقة والزينة الأسلوبية المعتمدة على جرس الألفاظ وعذوبة أصدقائها في النفس.

ومن هنا يوضح أن شعر النابغة الذبياني يقترب في ذوته من المدرسة الأوسية التي اشتهرت عند القدماء بالتفصيخ والتشويه، فهو لا يقبل كل ما يغد على خاطره، بل يزال بنقصه، وبصفله حتى يستوي له اللطف الوتوث والديباجة الجزيلة فقد أتيح له أن يعيش في بينت متحضرتين هما الجيزة وبلاط الغساسنة فرق ذوقه، وسهل منطقه وفظه.

ويقول أبي سلمان عن شعر النابغة "كان أجزلهم" ويروي أن عمر ابن الخطاب قال: أي

شعر الحكم يقول:

فلست بمستيق أنت لم تلمه

قالوا: النابغة، فقال: هو أشعرهم.

فالتفضيل منا قائم على استجابة بيت النابغة وجزالة شعرة -والجزالة تعني معنى الجودة.

يقول النابغة:

ففضل علي الناس في الأدنى وفي بعد

وقد حال هم، دون ذلك شاغل

مكان الشفايف تبنتيه الأصابع

وقوله من جيد شعرة تجند النعمان لمديمه.

1- المراجع السابق
2- التفكير النقدي عند العرب، عيسى علي الماكوب
3- طبلات فقال الشعر، محمد بن سلام الجمعي، جزء 1
4- نفسه، ص 57
5- نفسه، ص 57
6- المراجع السابق، ص 56
الجودة في شعر زهير:

ثم بسوق ابن سلام أبيات زهير التي استجداها قدمه من موسى الجمحي قوله:

"من يلق يوم على علاه هرما يلق السماحة منه والندعا خلق"

ويقول عن زهير أنه كان أجمعهم لكثر من المعنى القليل المنطقي.

فتجد زهير أبي سلمي حظي بمكانة راقية في الشعر العربي، إذ وضعه ابن سلام ضمن شعراء الطبقة الأولى الجاهلية، وهذا لتمييز شعره اتصاله بالحصافة التي تعني وجود الراي وأحكامه وسداده لهذه الوجود أهله لان يبوا، ويتضنده هذه المرتبة قرائه الفيس والتابعة والأعشى ويروي عن سيدنا عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- أنه قال لأبن عباس أشدني لأشعر تراكم قلت: من هو أمير المؤمنين؟ قال: زهير، قلت: وكيف كان كذلك قال: كان لا يعطل بين الكلام ولا يبتلع وحشية، ولا يمد الحج إلا بما فيه. فالخليفة عمر يفضل زهيرا على سائر الشعراء، لا تتصو رشعره بالحصافة (الجودة) والصداق الغني، فقد قال كان يتجنب التعقيد اللفظي والمعنوي في شعره ما جعله يبلغ المعاني والشعر كما كان صادق في فنه بحيث لا يمد الحج إلا بما يكون فيه- من هذا استحق زهير مكانته ضمن الشعراء الطبقة الأولى الجاهلية و هذا لا القيمة سره الفني وأحكامه.

يقول زهير في معلقته:

"رأيت المنايا خبط عشواء من تصب
ومن ليصاب في أمور كثيرة
و إن يرق أساب السماء يسلم
و من لا يكرم نفسه لا يكرم"

و ما يدل على مثابة زهير بشعره و جوده حرسه الشديد على عدم أذاعته للناس لا بعد تنقيحه و تهذيبه ليبدوا في الإطار الذي يرضيه هذا الشاعر المجيد لنفيه الذي يرفه بين الناس فالآذا جادة و ألا يد او تنفيه الإعلام الأدبية من الشؤوب من واجب كل شاعر الذي يولي اهتماما لشعره و يحترم أدواق الناس فلا يقدم إليهم إلا في طمئن الشاعر.

1 نسخة ص:64
2 المرجع السابق ص:64
3 نسخة ص:63
لجدوثه، أولًا، هذا لرضى عنه الأذواق المشيرة في بيئات الفن والآداب، وكان ذلك هو المهم في تلك الأشكال الكثيرة التي اجتمعت على الاعتراف بجودة شعر زهير وعدد من شعراء الطبقة الأولى الجاهلية ونموذج جودة شعره قوله:

ها العين والآرام يمشين خلقة،
و أطلاؤها ينهضن من كل مجضم.
فلا يا عرفت الدار بعد
توقعت بها من بعد عشرين حجة.

و نوايا كجذم الحوض لا يتكلم،
وها نيل كذلك على انصف شعر زهير بالحصانة والجودة الفنية أن تشبه امرأة في الشعر بثالثة أوصاف في بيت واحد وخذا قوله:

تنازعت آلها شبهها ذو البحور،
و شاكته فيها الظباء.
وقوله:

يطغيم ما رأيتا حتى إذا اطعنا،
وهما يستجذبال إلك قوله:

وذي نعمتتها تمتها و شكرتهما،
وخيص يغلب الحق باطله.
دفعت بمعرف من القول صائب,
اذ ما أصل الناطقين مفاسله,
وصيب فما يلم به فهو قاتله.

4- الجودة في شعر الأعشى:

ومن الشعراء الذين تحققت الجودة في أشعارهم نجد الأعشى يقول أي سلام مورداً
حة من يقين حجة الأعشى أو أذهبهم في فنون الشعر وأكثرهم طويلة جيدة وأكثرهم
مدحاً و هجاء و فخاراً ووصفاً كل ذلك عند ٥
فان سلام اتخذ مقاييس الجودة مع مقياس
أخير هو الكثرة حيث يرى أن يكون للشاعر قصائد كثيرة طويلة مع جودتها لذا قدم
الأعشى الوجود لهذه الشروطين

جودة قصائده:

1. سرح المعلقات السبع،قباطي،أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزروعي. ص: 99
2. الشعر والشعراء، ابن قتيلة، ص: 129
3. طبقات فصول الشعراء، محمد بن سلام الجهمي. ص: 138، نفسه ص:65
"ترك القذى من دونها وهي دونه
وقله:
ومستجيب لصوت النصص تسمعه
وقله:
إذا ترجع فيه القينه الفصل 1
إذا ذاقها من ذاقها يتمطق 1
шла مشل شلون شلون
علموا أن هالك كل من يحس و ينتمع
وقهوة مزن رواحها فصلاة
إلا نهائنا وان علوا نهل نهل
قلص أسفل السوابل معتمل
وقد عذت إلى الحانون يتبيني
في فتية كسيروف الهند فم
نازعتهم قصب الريحان متكنا
لا يستفقون منها و هي راهنة
يسعى بها ذو حاجات له نطاق
فهو في الأبيات يصف يوما من أيام لهوه، غدا فيه إلى خمار مع رقيق ناشط، خفيف
الحركة، طيب النفس، في فتية كسيروف الهند مضاء وقوة ورونقا فالاعشى أجاد في وصف
الخمرا إجادة لفتنت النقاد القدامي فقالوا عنه بأنه اشعري الجاهلين إذا طرب أي: شرب
الخمرا ووصفها.
ومن نماذج الدالة على الجودة في أشعار الطبقات نجد الحطينة والذي مثل الطبقة الثانية
من الجاهلية فأشعار الحطينة توفرت على الجودة ما أهله لأن يزال هذه الدراجه يقول ابن
سلام عن شعر الحطينة "وكان الحطينة متين الشعر شرو蹙 القوافي" 3
ومن جيد شعر الخططين قوله:
ابي لك آباء أبي لك مجدهم
قبر أصابتها السيف ثلاثه
نجم هوت في كل نجم مرائنه
وقبر القلب اشعر العرب سأعنه
كهل القناة أيظ الحي حاضنه
وقله:
أذنب الفقر أم ذنب أنيس
أصاب البكر، أم حدث الليالي

١- الشعر والشعراء، قببة، ص: 229
٢- نفسه، ص: 223
٣- طبقات فحول الشعر، محمد بن سلام الجمعي، جزء: 1، ص: 104
الفصل الثاني

لقد جاز الزمان عليا عيالي

وقلبه كذلك:

ماذا تقول لأفرخ بذي مرف خمر
ألقبت كاسبهما في قفر مظلمة فاغفر، عليك سلام الله يا عمر
أتت الإمام الذي من بعد صاحبه ألقى إليه مقاليد النهى البشر
ما آثروك بها إذ بابعوك لهاً

فهذه بعض النماذج التي أتسمت بالجودة لدى شعر الحطيئة.

ووقع عن عدي: "وله أربع قصائد غرر روائع ميرزات".

ومن جيد شعره قوله:

"ذهب من الهجران في كل مذهب
ولم بك حقا كل هذا التجنب".

وقلبه:

طحا بقلب في الحسان طورب
بعد الشباب عصر هان مشيب
أم حليها إذ تأتك اليوم مصروم
هل ما علمت وما استودعت مكتوم
ولا شيء بعدهن يذكر".

ويقول عن سويد بن كراع: "وكان شاعرا محكما وكثيرا ما يختار الشعر الجيد"

وله قصيدة جيدة أولها:

بسطت رابعة الحبل لنا، فمدنا الحبل منها، ما اتسع
وله شعر كثير ولكن، برزت هذه على شعره. وهو الذي يقول:
جررت على راجي الهوادة منهم وقد تلحق المولى العبود الجرائر"
ومن المنقب يقول ابن سلام "والمنقب العبد هو الذي يقول:

أفعال قبل بيتك متعيني
 ومنعك ما سأنتك إن تبيني
تمر بتنا رياح الصيف دوني
ولا تبعني مواعد كاذبات
فاتئ لى تخلفي شمالي

عندك، ما وصلت بها بعيني

المراجع نفسه، ص:112-171

1- نفس، ص:139
2- نفسه، ص:139
3- نفسه، ص:153
4- نفسه، ص:139
فصول الثاني

إذا لقطعتها وكفلت بني! إذا ما قمت أرحلها بليل
تأوه آله الرجل الحزين
أهذا دينه أبداً وديني
تقول إذا درأت لها وضني
أكل الدهر حلاً و ارتحلاً؟
فابقين باتني والجد منها

له كان الدرب ابنة المطين

"وهذه الأبيات بعض القصيدة وإنما انتخبنا أوجدها أبياتاً.
فهذا بدل على اهتمام ابن سلام الجمحي بمقياس الجواد في الشعر.

مظهر الجواد عند الشعراء المسلمين

كما جعل الجواد الفيصل في التفضيل بين جرير والفرزدق والأخطل وفسر قولهم:

"الأخطل إذا لم يجيء سابقاً فهو سكينة، والفرزدق قد لا يجيء سابقاً ولا سكينة. فهو منزلة المصلي، جرير يجيء سابقًا وسكينة ومصلياً ² ويغني من كلماته تفاوتهم في الجواد.

وتأويل قوله: أن للأخطل خمساً أو ستاً أو سبعاً طوالاً غرز أحياد هو مهن سابق وسائر شعره دون أشعارهما. فهو فيما بقي بمنزلة السكينة، والسكينة آخر الخيل في الرمان.

ويقال: "ان الفرزدق دونه في هذه الروائع. وفوقه في بقية شعره، فهو كالمصلي أبداً الذي يجيء بعد الساكن وقبل السكينة، وجرير له روائع هو بين سابق واسوسي هن بين مصلي وسمسمات وهو بين سكينة ³ "جعل ابن سلام مقياس السبق والنقد هو الجواد الظاهرة في القصائد الغر الحياذ. فالفضيل في التقديم عائد لروائع القصائد وحيادها وذكور الأبيات التي حم بها مروان في الثلاثة، وذكر أن تفضيلهم عائد للجودة، وتلك الأبيات هي:

ذهب الفرزدق بالفخار إتماً
وهلق يحا فامض أخطل ثعلب
وهو اللهي بمديحة الشهور
وحجاوه قد سار كل مسير ⁴

1. المصدر السابق ص273
2. نفسة ص:321
3. نفسة ص:375
4. نفسة، ص:378
فهو يجعل الحكم النهائي في تحديد مكانة الشاعر-جودة شعره، وتراه يورد بيت واحداً يجعله الحكم في التفضيل لجودته فقد أورد بيت جرير:
وطوي القيادة مع الطراد بطونها في النجار بحضورموت برودا
ويبين أن عبيدة بن هلال البشكري فضله به جربا على الفرزة.1
من جميع ما سبق يظهر اهتمام ابن سلام بالجودة الشعرية، وأنه جعلها المقياس الأول للتفصيل، وذكر جيد الشعر، سواء كانت الجودة في الشعر عامة في فن من الفنون، أو في الأبيات المفردة، واهتم كثيراً بالإجادة عندما يتعلق عن شاعر أو شعر أو يذكر أراء العلماء في تفضيل شاعر، أو يفسر بعض الأمور المتعلقة بالشعراء، فيجعل الجودة غالبا محور التفضيل والحديث.
إن اهتمام ابن سلام بمقياس الجودة وتقديمه على جميع المقاييس جعل له أثراً واضحاً في التفضيل أو التقايد والتأخير من الطبقات، من شعراء داخل الطبقة الواحدة.
فمقياس الجودة هو الذي قدم علامة الفحص إلى الطبقة الرابعة فله" ثلاث روائع جيد لا يفوقياً شعر "2 لولاهن لتتأخر عن هذه الطبقة إذ ليس له جيد غيرها، وإلا لتقدم لطبقة أفضل.
ومقياس الجودة هو الذي وضع عبید ابن الأبرص في الطبقة الرابعة مع أنه لا يعرف له من الشعر إلا واحدة.

فالتقبليات فالذنوب3

أقوى من أهلة ملحم
عالم مباه جل النهرين، ليس لنا شيء نقل شعره.
والجودة وحدها هي التي جعلت عنترة ابن شداد في الطبقة السادسة لأن له واحدة نادرة.

يا دار عيلة بالجواء تكلمي
فوقت فيها نافتي وكأنها
وحل عيلة بالجواء وأهلنا
حييت من طل نقاد عهده

---
1. نسخة من: ص 382
2. المرجع من: ص 139
3. نسخة من: ص 139.
خلاصة الفصل

ومن هذا كله نستخلص أن ابن سلم من خلال كتابه، يعتبر من النقاد الأوائل الذي أمسوا المعايير التي يقيس بها الشعراء أشعارهم، و لعل أبرز تلك المعايير، معيار الجودة الذي أولاهم أهمية بالغة في تصنيف الشعر، والشعراء حسب من رتبة، و طبقات، و ذلك في خلال كتابه طبقات فحول الشعراء، الذي بعد في خلال كتابه طبقات فحول الشعراء الذي يعد أول كتاب صنف الشعراء إلى طبقات وفق معايير مختلفة، أعطى أهمية البالغة لمعيار الجودة و أعاد على جميع المعايير و من هنا كان ابن سلم دقيقا في ذكر الأمثلة و التنبه إلى قيمة الجودة في الشعر، حتى يكون ذلك الشعر الجيد في مرتبة ما يصل إليها شعر مفتعل محق ظاهر صاحبه.

١- شرح المعلقات السبع للقضايى ابن عبيد الله الحسين بن أحمد الزورني (د. ج) مكتبة المعارف بيروت- لبنان. 1-2004: ص:78
الخاتمة
وفي نهاية بحثنا هذا، وبعد جولتنا مع مصطلح الجودة في النقد الأدبي القدامى-كتاب-
طبقات حول الشعراء نموذجا- خلصنا إلى النتائج التالية:

- إن الأحكام النقدية قدما كانت أحكاما انطباعية جزئية، تهتم بأن يكون الإنتاج
الأدبي جيدا.

- أن فكرة الجودة أول ما ظهرت في التراث النقدية القديم حيث كان الشعراء
يحكمون على أشعار بعضهم البعض إم للجودة أو الرداءة ( المفضلة بين
الشعراء).

- إن لأعوبي القرن الثالث الهجري كان لهم دور بارز في وضع معايير واضحة
ومقاييس محددة بعيدة عن التأثيرات الفلسفية والفكرية التي كانت سائدة في القرن
الثالث الهجري.

- تعتبر الجودة من المعايير اللازمة في الحكم على الشعر والشاعر، لذا نجد ابن
سالم اتخذه معيارا أساسا لتصنيف الشعراء إلى طبقات وعمل على تطويرها من
خلال إعطائها بعدا اصطلاحيا عميقا.

ثم بعون الله و توفيقه

الحمد لله
قائمة المصادر والمراجع
المراجع
أولا: المصادر:
1. طبقات فحول الشعراء محمد بن سلام الجمحي، تج: محمود محمد شاكر الناشر دار
جدة (د-ط)، (د-ت)، ج: 1.
ثانيا: المراجع:
1. البين والتنبيين، الجاحظ (أبو عثمان عمر بن بحر)، تج: عبد السلام محمد هارون،
2. تاريخ النقد الأدبي والبلاغة حتى القرن الرابع الهجري، د. محمد زغلول سلام،
الناشر المعارف الإسكندرية، (د، ط)، (د، ت).
3. التفكيك النظري عند العرب، د. عيسى علي العاكوب، (د، ت)، دار الفكر، دمشق،
سوريا، ط: 6، 2006.
4. شرح المعلقات السبع، للقاضي أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزوزني، (د-ت
ج)، مكتبة العارف بيروت لبنان، ص: 1، 2004.
5. الشعر والشعراء، ابن قتيبة، تج: أحمد محمد شاكر، دار الأثراء، ط القاهرة، ط: 1،
2010.
6. فحولة الشعراء، الأصمي، تج: خ. توري، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط2
1400هـ -1980م.
7. في النقد الأدبي، التدقيق عند العرب، مصطفى عبد الرحمن إبراهيم، مكة للطباعة ،
سنة 1419هـ - 1998م.
8. طبقات فحول الشعر، محمد بن سلام الجمعي، تج: محمود محمد شاكر، دار المدني،
جدة، (د-ط).
9. المفضلات، المفضل الضبي، تج: أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار
10. الموشح في مأخذ العلماء على الشعراء، أبي عبد الله بن عمران بن موسى
المرزباني، تج: محمد حسين.
المراجع

11. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د، ط)، (د، ت).

ثالثًا: المعامج و القواميس:

1. المعجم الأدبي، جبور عبد النور، (د، تح): دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984.

2. المعجم المفصل في الأدب، محمد التونجي، (د، تح)، درا الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، سنة 1419 هـ-1999، ج1.


5. كتاب العين، أبي عبد الرحمن بن أحمد الفراهيدي، تح: د. مهدي المخزومي ود. إبراهيم السامرائي، سلسلة المعامج و الفهراس، (د. ط)، (د. ت)، الجزء6.

6. لسان العرب، ابن المنظور، (د، تح): عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، جزء الأول.

7. مختار الصحاح، زين الدين محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، تح: محمد بخاطر و حمزة فتح الله، مؤسسة الرسالة 1414 هـ، 1994م.